

الخشوع المطلوب من المؤمنين في الصلاة والحياة

Mehmet YOLCU*

Özet- Müslümanın Namaz ve Hayatında Huşu- Bu makalede Kur'ân ve Sünnetin önem verdikleri, dîni duyarlılık konusunda bir sembol haline gelen Sahabiler'in özellikle dikkat çektikleri "huşû" konusu ele alınmıştır. Cemiyet hayatında buharlaşması, Selef-i Salihîn tarafından can yakıcı bir kayıp olarak tasvir edilmiş ve "ibadetin ruhu" sayılmış içli bir devinmeyi ifade eden "huşu" konusu bu incelemede öncelikle semantik açıdan tetkik edilmiştir. Bundan elde edilen sonuçlara göre "huşû"un iman, ibadet, ahlak ve karşılıklı insani muamelelerimiz gibi pek çok alanda ne kadar önemli olduğu delilleriyle sergilenmiştir. "Sonuç" kısmında incelememizden elde edilen tespitler özet halinde verilmiştir.

Anahtar kelimeler: Huşû, Namaz, Dîni hayat, Dîni duyarlılık

Abstract- Necessity of Awe (Huşu) in Pray and Life for Muslims- In this article, they gave importance to the Qur'an and Sunnah, which has become a symbol of religious sensitivity, particularly note Companions are suffering, "humble" is discussed. Evaporation of the life of society, Predecessor-i Salih, depicted as a loss by the painful and the "spirit of prayer" she does not express the mobility of a stuffed "awe" has been the subject of this investigation examined primarily semantically. According to the results of that "humble"s faith, worship, morality, and in many areas, such as mutual humanitarian relation exhibited evidence of how important it is. Reviewed the findings are summarized at the conclusion obtained.

Key words: Awe, Prayer, Religious life, Religious sensitivity.

أ- معانى الخشوع اللغوية والاصطلاحية

1- الخشوع فى اللغة

يذكر علماء اللغة والتفسير معاني كثيرة للخشوع. وبمتابعة هذه المعانى فى كتب اللغة والتفسير نشاهد أن الخشوع يستعمل فى المعانى الآتية:

أولاً الخشوع: الخشوع لغة الخضوع. يقول أبو بكر بن العربي (ت:453) : الخشوع الخضوع وهو الإخبات والإستكانة؛ وهى ألفاظ مترادفة أو متقاربة أو متلازمة! يقول العسكرى فى الفرق بينهما: "الفرق بين الخشوع والخضوع:

يقول الفيروزآبادي (ت:817) فى تحديد معناه : الخشوع، الخضوع أو قريب من الخضوع أو هو فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر. وقال صاحب المحكم: خشع يخشع خشوعاً، وتخشع رمى

* Yard. Doç. Dr. İnönü Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Öğretim Üyesi. mehmet.yolcu@inonu.edu.tr.
1 ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبدالله)، أحكام القرآن، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، 1307/3؛ وأيضاً: الراغب (الحسن بن المفضل) الأصفهاني؛ مفردات الفاظ القرآن الكريم، دار القلم، دمشق 1992/1412. ص. 283، 285.

ببصره نحو الارض، وخفض صوته وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر.²

وهذه الآيات تشير الى هذا المعنى: {وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه 108]؛ {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} [الغاشية 2]؛ {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً} [القلم 43]؛ {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَرَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ} [فصلت 39].

ويشير ابن كثير (ت:774) في تعريف الخشوع إلى معاني مجمعة فيقول: "الخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته."³

ويقول ابن القيم (ت:751) في تعريفه: "الخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل."⁴

فعلي هذا يمكن القول بأن للخشوع معاني كثيرة ينبثق أكثرها من إختلاف وجهة نظر العلماء. فالخضوع قريب من الخشوع إلا أن الخضوع يكون في البدن ، والخشوع في البدن والصوت والبصر. وأكثر ما يستعمل الخشوع في الصوت والخضوع في الأعناق.

ثانياً الخضوع: الخضوع لغةً التواضع ، وخفض يخضع خضوعاً ، واختضع ذلً واستكان ، وأخضعه الفقر أدلّه. فمعنى الخضوع الانقياد والمطوعة ، وفي الحديث أنه (ص) : نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته.⁵ أى يلبس لها في القول بما يطعمها منه. وخفض الإنسان خضوعاً ، أمال رأسه إلى الأرض، أو دنا منها ، وفي التنزيل قال الله عز وجل: {فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}. [الشعراء 4]

أما الفرق بين الخشوع والخضوع فيبينهما تقارب أيضاً، وقد قيل إن الخضوع بالبدن، يقال فلان خضع لفلان، وإن كان قلبه لم يخضع له، فالخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخاء، فيستسلم لمن خضع له. وأما الخشوع فيكون في القلب، والبدن، والصوت، والبصر، فيظهر هذا على بصره وجوارحه، فأصل الخضوع هو الذل والانقياد، فإذا قيل خضوع القلب فهو ذل القلب، وإذا قيل خضوع البدن فهو انقياده واستسلامه.⁶

ويقول الراغب (ت:425): "الخضوع والخشوع و الخنوع والسجود والركوع وتقارب وبينها فروق. فالخضوع ضراعة بالقلب والخشوع بالجوارح ، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح وقال تعالى: {وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه 108]."⁷

وذكر أبو هلال العسكري (ت:395): أن الخضوع قد يكون بتكلف ، أما الخشوع فلا يكون تكلفاً ، وإنما بخوف المخشوع له.⁸

الخنوع: ضراعة لمن دونه، طمعاً لعرض في يده. ولذلك أكثر ما يجيء في الذم. والركوع في اللغة الانحناء بالشخص وكل منحرف راعع."⁹

² العسكري، (أبو هلال الحسن بن عبد الله)؛ الفروق اللغوية، الضبط: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت 1401، المادة: 845 (الفرق بين الخشوع والخضوع). وهذه العبارة بعينها مذكورة في (لسان العرب) لابن منظور: 71/8. وراجع: ابن فارس؛ المجلد، ط. القاهرة 1331: 292/2.

³ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر) ، تفسير القرآن العظيم، التحقيق: سامي بن م. سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة ، 418/1999، 4/1420.

⁴ ابن القيم، (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)؛ مدارج السالكين، التحقيق: محمد حامد الفقي ، ط. الثانية ، دار المعرفة ، بيروت، 1359 ، مدارج السالكين، 520/1.

⁵ ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا)؛ معجم مقاييس اللغة، التحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت 1979/1399، مادة ((خضع))

⁶ أبو هلال العسكري، الفروق، (الفرق، المادة: 845). ص. 149

⁷ ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري)؛ لسان العرب، ط. الأولى، دار صادر، بيروت بدون تاريخ، مادة: ((خضع)). لم أجد هذه العبارة في كلام الراغب، انظر: الراغب، المفردات، مادة: ((خضع))، ((خشع))، ((ركع))، ((سجد)).

⁸ (الفرق بين الخشوع والخضوع)، ص. 216. أبو هلال العسكري، الفروق، (الفرق، المادة: 844). ص.

ويمكن أن يفهم من هذا أن في الخشوع معني التذلل والإنقياد والمطاوعة والإستسلام والإقرار. ففيه الفكر والعقل مرتبط كلياً. وفيه أيضاً الجوارح والعمل متصل مع بعضهما البعض. فالإنسان الخاضع مطيع بكله لا يبعث أعضاءه فقط. بل هو منقاد بظاهره وباطنه؛ مستسلم بأعماله وأفكاره.

ثالثاً الإنخفاض: ومن معاني الخشوع لغةً الانزواء والانخفاض أيضاً. قال النابغة الذبياني يصف آثار الديار: (رَمَادٌ كَكْحَلِ الْعَيْنِ لَأَيًّا أُبَيُّهُ ... وَتُوِّي كَجِدْمِ الْحَوْضِ أَنْتُمْ خَاشِعٌ).¹⁰

كلمة (خاشع) في هذا البيت تعني: زال ارتفاع جوانبه.¹¹

قال الراغب (ت:425): الخفض: ضد الرفع، والخفض الدعة والسير اللين. وقوله تعالى: {وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء 24]، فهو حث على تليين الجانب والإنقياد، كأنه ضد قوله: {أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ} [النمل 31].¹² قال مجاهد: الخشوع هو غرض البصر وخفض الصوت أو الجناح. وكذا قال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم؛ فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا الجناح.¹³

وفي الحديث: "كان (ص) إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون 2] فطأ رأسه."¹⁴

وروى محمد بن سيرين أن الصحابة كانوا يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة؛ فلما نزلت هذه الآية خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم.¹⁵ ويذكر بعضهم أن سبب نزول هذه الآيات هو أن النبي (ص) كان يقلب بصره في السماء إذا صلى؛ فنزلت الآية.¹⁶

وقال القاضي محمد بن سيرين: "وهذا الحديث مَفْطُوعٌ مَطْنُونٌ، فَمَفْصُودُهُ غَيْرُ مَفْطُوعٍ، فَسَفَّاهُ عَلَى حَالِهِ لَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا فِي مَعْرِفَتِهِ سَوَاءً مَعَكُمْ."¹⁷

وحسب رأي هؤلاء العلماء يمكن أن يقال: يعتبر الإنخفاض من معاني الخشوع الأصلية وكذلك الإنقياد أصل من معاني الخشوع أيضاً.

رابعاً التواضع: قال الزجاج: المتواضع الخاشع الذي يرى أثر الذل والخشوع عليه. وقال: مقاتل: {خاشعون}: متواضعون.¹⁸ وقال أبو هلال العسكري (ت:395): "الفرق بين الخشوع والتواضع: قال

⁹ القرطبي؛ (أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري)؛ الجامع لاحكام القرآن، أعاد طبعه دار احياء التراث العربي بيروت، 1985/1405، البقرة 44، 344/1.

¹⁰ أبو الفرج الأصفهاني؛ الأغاني، ط. الثانية، دار الفكر، بيروت بدون تاريخ؛ القرطبي، جامع الأحكام: 374/1، 365/15، 125/20.

¹¹ محمد الطاهر ابن عاشور؛ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997: 274/1.

¹² الراغب؛ المفردات: ص. 289.

¹³ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 456/5.

¹⁴ أخرج هذا الحديث الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الحافظ في الجامع الصحيح المستدرك، ط. الهندية، 394/2؛ رقم الحديث: 3482؛ وصححه؛ وأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي في السنن الكبرى، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدرآباد، ط. الأولى، مصدر الكتاب: موقع وزارة الأوقاف المصرية، 1344، 283/2، رقم الحديث: 3682؛ عن محمد بن سيرين. وانظر أيضاً: الزمخشري؛ الكشاف: 175/3؛ والسبوطي، الدر المنثور التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، 1414: 84/6؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت:450)؛ النكت والعيون، التحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط. الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت 1992: (سورة المؤمنون 2. وللمزيد راجع: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للمحمد ناصر الدين الألباني، ط. الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985/1405، 72/2.

¹⁵ انظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، جامع البيان، 3/18.

¹⁶ السبوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن)؛ لباب النزول، الضبط والتصحيح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص. 137، المؤمنون 1-2.

¹⁷ انظر: ابن العربي، أحكام القرآن: 1307/3.

¹⁸ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي؛ تفسير البحر المحيط: (سورة المؤمنون)، الآية: 2.

الراغب في الفرق بينهما: إن التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة. والخشوع: يقال باعتبار الجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح.¹⁹

وأضاف الراغب في آخر كلامه هذه الجملة: "ورجل وضيع" بين الضعة في مقابلة "رجل رفيع" بين الرفعة.²⁰ وفسر بعض المفسرين الخشوع بهذه الآية: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان 63]. فمثلا الأستاذ أبو علي الدقاق يقول تفسيراً لكلمة (هوناً): "متواضعين، متخاشعين."²¹

قال القرطبي (ت: 671) الخشوع: هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع. والخاشعون في لفظ {على الخاشعين} [البقرة 45] جمع خاشع وهو المتواضع. والخشعة: قطعة من الأرض رخوة. وبلدة خاشعة: مغيرة لا منزل.²²

فمعني هذا أن للخشوع آثاراً كثيرة من أولها التواضع. ونحن محقون مع القرطبي الذي بين علاقة الخشوع بالتواضع كعلاقة اللب بالقشر أو علاقة الباطن بالظاهر.

خامساً التضرع: قال الراغب الخشوع الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح. والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب.²³ ولذلك قيل فيما روى: "إذا ضرع - أوخضع- القلب خشعت الجوارح."²⁴ (*)

وأما الفرق بين الخشوع والضراعة؛ قد قيل أكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح في الظاهر، وإن كان أيضاً يرتبط بالقلب بلا شك، وأما الضراعة فأكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب وعلى كل حال فيوجد بينهما تقارب.

يقول الطبري (ت: 310) في تفسير التضرع: "وقوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام 42] يقول: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلي، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم إلى دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إلى بالإنابة".²⁵ وقال: "القول في تأويل قوله: {وَأذْكَرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً} [الأعراف 205] (تضرعاً)، يقول: أفعال ذلك تخشعاً لله وتواضعاً له."²⁶

وذكر القرطبي (ت: 671) قول التستري في الدعاء: "وقال سهل بن عبد الله التستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال."²⁷

فهذه الكلمات تصور لنا معنى التضرع وهو ما استقر في الصدر أوالباطن. فبالتضرع يفتح لنا أبواب الإخلاص والتذلل والطاعة والاستكانة والإنابة إلى الله.

¹⁹ أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، المادة: 843 (الفرق بين الخشوع والخضوع).

²⁰ الراغب؛ المفردات: ص. 874.

²¹ القشيري (عبد الكريم بن هوازن)، الرسالة القشيرية: ص. 68.

²² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 375/1.

²³ الراغب، المفردات، ص. 506، م.: (ضرع).

²⁴ (*) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعيب بلحيته في صلاته، فقال: "لو خضع قلبه لخشعت جوارحه." أخرجه الحكيم الترمذي في (نوار الأوصال): 317/1. قال العراقي: بسند ضعيف. والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب، رواه ابن أبي شيبه في (المصنف) وفيه رجل لم يسم. وروى محمد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة) من رواية عثمان بن أبي دهرس مرسلًا: لا يقبل الله من عبده عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه. ورواه أبو منصور الديلمي في (مسند الفردوس) من حديث أبي بن كعب، وإسناده ضعيف. راجع: العراقي، تخریج أحاديث الإحياء، 339/1.

²⁵ الطبري؛ (أبو جعفر محمد بن جرير)؛ جامع البيان في تأويل القرآن، التحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، 2000/ 1420: الأنعام: 42، 355/11.

²⁶ الطبري؛ جامع البيان: الأعراف: 205، 353/13؛ القرطبي؛ الجامع: البقرة: 186، 311/2؛ الراغب؛ المفردات: ص. 524

وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 456/5.

²⁷ الطبري؛ جامع البيان: الأعراف: 205، 353/13.

القرطبي؛ الجامع: البقرة: 186، 311/2.

سادساً السكون: السكون: ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان؛ قاله الراغب²⁸ قال عمرو بن دينار الخشوع السكون وحسن الهيئة. والسكن: السكون وما يسكن إليه، قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} [النحل 80]، وقال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة 103]، {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلُ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا} [الأنعام 96]. والسكن: النار التي يسكن بها، والسكنى: أن يجعل له السكون في دار بغير أجرة، والسكِينُ سمي به لإزالتة حركة المذبوح.

وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح 4]، فقد قيل: هو ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه.²⁹ وقيل: هو العقل، وقيل له سكينته إذا سكن عن الميل إلى الشهوات، وعلى ذلك دل قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد 28]. وقيل: السكينه والسكن واحد، وهو زوال الرعب.³⁰

وفي تفسير الخشوع يقول أبو بكر بن العربي (ت: 453): وحقيقته (يعنى الخشوع) السكن على حالة الإقبال التي تأهب لها واحترم بها بالسر في الضمير والجوارح في الظاهر. فقد كان النبي (ص) لا يلتفت في صلاته خاشعاً خاضعاً؛ وكذلك كان أبو بكر لا يلتفت وكان حفيده عبد الله بن الزبير كذلك أيضاً. نذكر على سبيل المثال تمثيل مجاهد قال: "كان ابن الزبير إذا قام يصلي كأنه عود من الخشوع."³¹

ويروى ابن القاسم عن الإمام مالك (ت: 179) أنه قال: الخشوع في الصلاة الإقبال عليها. وقال مقاتل: الخشوع أن لا يعرف من على يمينه ولا من على يساره.³² وقد فسر ابن عباس من قيل لفظ {الخاشعون} بالخاشعين والساكنين. وأخرج الطبري هذا التفسير عن مجاهد وقتادة والحسن والزهرى أيضاً.³³ ويقول ابن عباس أيضاً: "كل سكينه في القرآن هي الطمأنينة إلا التي في البقرة الآية العشرين."³⁴ وقال علي: الخشوع ترك الالتفات في الصلاة.³⁵

وعلى هذه الفكرة إذا قال المؤمن "الله أكبر" للصلاة يحرم عليه الأفعال بالجوارح والكلام باللسان ونية الصلاة تحرم عليه الخواطر بالقلب والإسترسال عن الأفكار...³⁶

فمن هذه التعريفات والحدود يمكن القول أن السكون له علاقة وثيقة بالخشوع. لهذا فسر بعض الصحابة والتابعين الخشوع بالسكون وعدم الالتفات في الصلاة.

سابعاً الإخبات: الإخبات لغة الخضوع والخشوع. قال اللؤلؤسي (ت: 1270): أصل الخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرمال المتطامن.³⁷ فالتخشع لله هو الإخبات والتذلل له.³⁸ وقال أبو هلال العسكري

²⁸ الراغب؛ المفردات: ص. 417

²⁹ ويؤيد ذلك ما روى عن أبي العالية قال: قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فينظر فإذا صباية أو صباية قد غشيت، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اقرأ فلان، فإنها السكينه نزلت للقرآن)). أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وفي رواية: ((تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)). راجع: القرطبي؛ الجامع: 249/3؛ ابن حجر؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، ط. الأولى، دار الريان، القاهرة 1407: 57/9؛ والسيوطي؛ الدر المنثور: 354/5. وانظر أيضاً: ابن الأثير، (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، التحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، نشر: دار الباز، مكة المكرمة، 386/2؛ وابن تيمية؛ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، التحقيق: عبد الرحمن يحيى، ط. الأولى، دار طويق للنشر، الرياض 1414 هـ، ص. 29.

³⁰ الراغب؛ المفردات: ص. 417

³¹ ابن العربي، أحكام القرآن: 1308/3.

³² ابن العربي، أحكام القرآن، 1309/3.

³³ انظر: الطبري، جامع البيان، 3/18.

³⁴ القرطبي، جامع أحكام القرآن، 264/16.

³⁵ أبو حيان، البحر المحيط: المؤمنون الآية: 2.

³⁶ انظر: ابن العربي، أحكام القرآن، 1309/3.

³⁷ اللؤلؤسي؛ روح المعاني، 249/1. (البقرة: 45)

³⁸ أبو بكر البكري؛ حاشية إعانة الطالبين، 211/1

(ت:395) : الإخبات ملازمة الطاعة والسكون ، فهو الخضوع المستمر على استواء: "إن المخبت هو المطمئن بالإيمان وقيل هو المجتهد بالعبادة وقيل الملازم للطاعة والسكون. وهو من أسماء الممدوح مثل المؤمن والمتقي، وليس كذلك الخضوع لأنه يكون مدحا وذما، وأصل الإخبات أن يصير إلى خبت تقول أخبت إذا صار إلى خبت وهو الأرض المستوية الواسعة؛ كما تقول (أنجذ) إذا صار إلى نجد، فالإخبات على ما يوجب الإشتقاق هو الخضوع المستمر على استواء."³⁹

قال الراغب (ت:425): واستعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع.⁴⁰ وأفاد ابن العربي (ت:453) أن الإخبات من معاني الخشوع.⁴¹

وأما الفرق بين الخشوع والإخبات فيظهر في معنى هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [هود 23]. فهم الذين في إيمانهم وأعمالهم الصالحة مخلصون متواضعون مترابطون مترقبون بقلوبهم الرقيقة يعيشون مع الله.

والخَبْتُ أصله في كلام العرب هو المكان المنخفض من الأرض، وابن عباس (ر) يفسر {وَتَسَّرِ الْمُخْبِتِينَ} [الحج 34] بالتواضعين، ومجاهد يقول المخبت المطمئن إلى الله جل جلاله. ويقول الأخفش المخبتون الخاشعون. ويفسره إبراهيم النخعي بالمصلين المخلصين، وفسره الكلبي بالريقة قلوبهم، وفسره عمر بن أوس بالذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.⁴²

نفهم من هذه النصوص والبيانات أن الإخبات من أصل معاني الخشوع. وهو الإطمئنان بالإيمان والجهد للعبادة وملازمة الطاعة والسكون والتواضع والإخلاص.

ثامناً الخشبية: قال الزمخشري (ت:538) : "الخشوع في الصلاة: خشية القلب والباد البصر. عن قتادة قال: وهو إلزامه موضع السجود."⁴³ قال الراغب: "الخشبية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها في قوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر 28]، وقال: {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ *** وَهُوَ يَخْشَىٰ} [عبس 8-9]، {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [ق 33]."⁴⁴

قال ابن زيد: الخشوع: الخوف والخشبة لله. وقرأ قول الله: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَائِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَبْتَغُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيٍّ} [الشورى 45] قال: قد أدلهم الخوف الذي نزل بهم، وخشعوا له.⁴⁵

قال أبو هلال العسكري (ت:395): "الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه. والخشبية تتعلق بمنزل المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشبية. (الخشبية في مادتها الاصلية): حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب، ولذا قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر 28]. فالخشبية، خوف خاص، وقد يطلقون عليها الخوف. وذكر المحقق الطوسي في بعض مؤلفاته ما حاصله: أن الخوف والخشبية وإن كانا في اللغة بمعنى واحد إلا أن بين خوف الله وخشبيته وفي عرف أرباب القلوب فرقا وهو أن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات. وهو يحصل لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتة جدا، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل. ويؤيد هذا الفرق أيضا قوله تعالى عندما وصف المؤمنين {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

³⁹ أبو هلال العسكري، الفروق، المادة: 83 (الفرق بين الاخبات والخضوع)، ص. 25

⁴⁰ الراغب؛ المفردات، ص. 283، م.: (خشع).

⁴¹ ابن العربي؛ أحكام القرآن، 1307/3.

⁴² ابن فارس؛ مقاييس اللغة، 193/2.

⁴³ انظر: الكشاف: 175/3.

⁴⁴ الراغب؛ المفردات: ص. 283.

⁴⁵ الطبري؛ جامع البيان: البقرة: 45، رقم الأثر: 845.

وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ { [الرعد 21]؛ حيث ذكر الخشية في جانبه سبحانه والخوف في جانب الحساب.⁴⁶

الخشية علي تثبيت المحققين تفيد الخوف الخاص الذي لا تحصل إلا للقليل من المسلمين. والخشوع علي تحديد الزمخشري هو خشية القلب؛ وهذه الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه.

تاسعاً الخوف: قال الحسن وقتادة: الخشوع الخوف. وقال مسلم بن يسار وقتادة: الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة وتكبير الرأس.⁴⁷ قال أبو هلال العسكري (ت: 395) إن الخشوع قد يكون بتكلف، أما الخشوع فلا يكون تكلفاً، وإنما بخوف المخشوع له.⁴⁸

ومن الذين حدد معني الخوف بأدق معانيه الراغب (ت: 425) فقال: الخوف توقع مكروه عن أمانة مظنونة، أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمانة مظنونة، أو معلومة، ويضاد الخوف الأمان، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية: كما قال تعالى: { وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } [الإسراء 57]، وقال: { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنعام 81]، وقال تعالى: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } [السجدة 16]، وقال: { فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلُوا فَوَاجِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } [النساء 3].

والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل: "لا يعد خانفاً من لم يكن للذنوب تاركا".⁴⁹

عاشراً الوجل: وردت رواية عن ثابت البناني وأم الدرداء قالا: إنما الوجل في القلب كاحتراق السعفة⁵⁰ ويقول الراغب: الوجل: استشعار الخوف. يقال: وجل يوجل وجلاً، فهو وجل. ⁵¹ قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال 2].

وعن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال: "ما اقشعر جلد عبد من خشية الله إلا حرمه الله على النار".⁵²

هل هناك فرق بين الخوف والوجل؟ أجاب عن هذا السؤال أبو هلال العسكري (ت: 395) فقال: "الخوف خلاف الطمأنينة. (الوجل مثله يقال) وجل الرجل يوجل وجلاً إذا قلق ولم يطمئن. ويقال أنا من هذا على وجل ومن ذلك على طمأنينة؛ ولا يقال على خوف في هذا الموضع. وفي القرآن الكريم: { الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ } [الأنفال 2]؛ أي إذا ذكرت عظمة الله وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدموه من الطاعة وظنوا أنهم مقصرون فاضطربوا من ذلك وقلقوا فليس الوجل من الخوف في شيء، وخاف متعد ووجل غير متعد وصيغتهما مختلفتان أيضاً وذلك يدل على فرق بينهما في المعنى.⁵³

⁴⁶ أنظر: أبو هلال العسكري، *الفروق*، المادة: 850 (الفرق بين الخوف والخشية). ص. 82.

⁴⁷ الألويسي؛ *روح المعاني*: آل عمران: 199.

⁴⁸ انظر: أبو هلال العسكري؛ *الفروق*، المادة: 844 (الفرق بين الخشوع والخضوع).

⁴⁹ الراغب؛ *المفردات*: ص. 303؛ (وانظر) أبو عبيدة؛ *مجاز القرآن*: 126/1.

⁵⁰ أبو بكر الجزائري (جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر)؛ *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، ط. الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003/1424، 480/4؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي النمشقي؛ *تفسير القرآن العظيم*، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط. الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999/1420، 12/4. ⁵¹ السعفة: غصن النخل، والجمع سعف. أصل السعفة العريض النابت من النخلة. انظر: ابن دريد؛ (لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي)، *جمهرة اللغة*، ط. الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد 1345: 79/1.

⁵² الراغب؛ *المفردات*: ص. 855 نقل ابن حجر هذه العبارة بنفسها. انظر: عبد المجيد الشيخ عبد البارى؛ *الروايات التفسيرية في فتح البارى*، ط. الأولى، وقف السلام الخيري، 2006/1426، 265/2.

⁵³ القرطبي، *الجامع*: 250/1.

⁵³ انظر: أبو هلال العسكري؛ *الفروق*، المادة: 888 (الفرق بين الخوف والوجل)، ص. 85.

يقول البيهقي (ت:468) : فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال: 2] فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟ قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه.⁵⁴

الحادي عشر القنوت: القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع، وفسر بكل واحد منهما في قوله تعالى: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } [البقرة 238]، وقوله تعالى: { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ } [الروم 26] قاله الراغب. وقيل: {قانتون} خاضعون، وقيل: طائعون،⁵⁵ وقيل: ساكتون.⁵⁶ وعلى هذا قيل: "أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟" فقال الرسول (ص): "طُولُ الْقُنُوتِ".⁵⁷

ويطلق "القنوت" على "الخشوع" وهو السكوت تعظيماً لمن قنت له. وعليه يدل سبب نزول الآية التالية؛ فإنه كان أحدهم يكلم صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } [البقرة 238]، فأمروا بالسكوت، ونهوا عن الكلام.⁵⁸ لأن القنوت اللتي اشارت إليه الآية يفيد الاشتغال بالعبادة ورفض كل شئ سواها.⁵⁹

عن أبي سعيد الخدري (سعد بن مالك-ت: 68-) ، عن النبي (ص) قال: " كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن، فهو طاعة لله."⁶⁰

وروي عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } [البقرة 238]، قال: من القنوت: الركوع والخشوع وغيض البصر وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل.⁶¹ وكان الفقهاء من أصحاب محمد (ص) إذا قام أحدهم إلى الصلاة، لم يلتفت، ولم يقبل الحصى، ولم يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً حتى ينصرف.⁶²

ويمكن القول بأن "القنوت" خشوع القلب الذي يظهر فيه خشوع الجوارح؛ ومنها اللسان حتى لا يتكلم الإنسان مع الناس؛ ليتجه إلى صلاته؛ وكذلك لا يفعل إلا ما يتعلق بصلاته.⁶³

ومعاني القنوت تزيد على عشر وقد نظمها بعض القوم فقال:

معاني قنوت طاعة ودوامها... إقامتها سكت خشوع عبيدية

صلاة قيام طولة وعبادة... دعاء وإقرار وإخلاص ذى النية.⁶⁴

⁵⁴ البيهقي؛ (محيى السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود)؛ معالم التنزيل، ط. الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997/1417، 316/4.

⁵⁵ راجع: الراغب؛ المفردات: ص. 684-685.

⁵⁶ ولم يعن به كل السكوت، وإنما عني به ما يوافق قول الرسول (ص): ((إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الأدميين، إنما هي قرآن وتسبيح)) شطر من حديث معاوية بن الحكم السلمي الطويل. أخرجه مسلم: 381/1 (رقم الحديث: 537/33) ؛ والنسائي (362/1)؛ وأبو داود، الطهارة (رقم الحديث: 930) ؛ وانظر: البيهقي؛ شرح السنة: 3 / 238). محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، ط. الثانية، دار ابن حزم، بيروت، 2002/1423، 410/3، رقم الحديث: 3130.

⁵⁷ الحديث عن جابر. أخرجه مسلم: (رقم الحديث: 756)؛ والمباركفوري؛ (محمد عبد الرحمن)؛ تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت: 178/2.

⁵⁸ السيوطي؛ لباب النزول، ص. 137.

⁵⁹ انظر للمزيد من المعلومات: سورة النحل 120، والتحريم 12، والزمر 9، وآل عمران 43، والأحزاب 31.

⁶⁰ الطبري؛ جامع البيان: سورة مريم: 43، رقم الأثر: 7050، 5518.

⁶¹ المروزي، تعظيم قدر الصلاة، 188/1.

⁶² الطبري؛ جامع البيان: البقرة: 238، رقم الأثر: 5530.

⁶³ الزبيدي؛ (محمد بن مرتضى)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، ط. الأولى، المطبعة الخيرية، مصر 1306: 1150/1؛ وابن عثيمين؛ تفسير القرآن: 142/5.

الثاني عشر التطامن (الطمأنينة): قال الراغب: الطمأنينة والإطمئنان: السكون بعد الإنزعاج.⁶⁵ قال تعالى: { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [الأنفال: 10]، { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ [الفجر: 27]، وهي أن لا تصير أماراة بالسوء وقال تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: 28]، تنبيهها أن بمعرفته تعالى والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس المسئول بقوله: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } [البقرة: 260]، وقوله: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } [النحل: 106]، وقال: { فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا } [النساء: 103]، { إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ } [يونس: 7].

وقد عرف بعض الناس السكينة بالطمأنينة والثبات والسكون. وأضاف بعضهم إلى هذه الألفاظ الوقار أيضاً.⁶⁶ وعلي كل حال فالطمأنينة حالة لازمة لكل خاشع في الصلاة وغيرها. ولها علاقة بالخشوع معني وهيئة وحالاً.

الثالث عشر انكسار – رقة القلب: قال علي (ر): الخشوع خشوع القلب (أو الخشوع في القلب)، وأن تلين كنفك للمرء المسلم وألا تلتفت في صلاتك.⁶⁷ وكذا قال إبراهيم النخعي.⁶⁸

يقول الألويسي (ت: 1270) في تفسير { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء: 90]. قال أبو يزيد: الخشوع خمود القلب عن الدعاوي، وقيل الفناء تحت أذيال العظمة ورداء الكبرياء.⁶⁹ قال بعض المفسرين: الخشوع، ذوبان القلب وانحناسه عند سلطان الحقيقة. أو الخشوع مقدمات غلبة الهيبة وقشعريرة ترد على القلب بغته عند مفاجأة كشف الحقيقة. واتفق العلماء على أن الخشوع محله القلب.⁷⁰ وقال بعضهم الخشوع في الجوارح والخضوع في القلب.⁷¹

وبعض الناس أحياناً يبدأ تفسير آية ببيان الفروق بين ما يظن أنه من قبيل الترادف على المعنى الواحد، فيبين اختصاص كل كلمة بمعنى تفتقر به عن غيرها، وإن كانت هذه الكلمات كلها تشترك في جزء من المعنى أيضاً، وهو ما يعبر عنه بالتقارب.⁷²

وهذه الأقوال جميعاً تدور على معنيين: التواضع والسكون لله عز وجل. وبهذا نعرف أن الإخبات مقارب للخشوع، لكن الخشوع يصحبه ذل القلب وانكساره، ويؤثر لين القلب مع المحبة والتعظيم. وأصل الضراعة في كلام العرب: الذل والخضوع. وبهذا نعرف أن لكل هذه الألفاظ معاني متقاربة.

الرابع عشر التذلل: قال ابن عباس: { خَاشِعُونَ } مخبتون أذلاء.⁷³ وقال الراغب: والذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } [المائدة: 54]، وقال: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ } [آل عمران

⁶⁴ الشوكاني، (محمود بن علي)؛ الشوكاني؛ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجليل، بيروت، 1973: 360/2؛ والخطيب التبريزي؛ (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، تعليق محمد ناصر الدين الألباني وآخرين، نشر المكتب الإسلامي، ط. الثانية، بيروت، 1399هـ: 594/4.

⁶⁵ الراغب؛ المفردات: ص. 524

⁶⁶ القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، الفتح: 26؛ 289/16.

⁶⁷ القرطبي؛ الجامع: البقرة: 45؛ 375/1.

⁶⁸ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 456/5.

⁶⁹ الألويسي؛ روح المعاني: الأنبياء: 112.

⁷⁰ القشيري؛ الرسالة القشيرية: ص. 68.

⁷¹ أبو حيان، البحر المحيط: المؤمنون 2، 248/8.

⁷² أحمد حسن فرحات؛ معاجم مفردات القرآن موازنات ومقترحات، ص. 17.

⁷³ أبو حيان، البحر المحيط: المؤمنون 2، 248/8.

[123]، وقال: { ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ } [النحل 69]، أي: منقادة غير متصعبة، قال تعالى: { وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّيلًا } [الإنسان 14]، أي: سهلت.⁷⁴

يقول الألوسي في تفسير آية { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } [آل عمران 199]، أي خاضعين له سبحانه، وقال ابن زيد: خائفين متذللين.⁷⁵

وأصل "الخشوع": التواضع والتذلل والاستكانة، ومنه قول الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت... سور المدينة والجبال الخشع.⁷⁶

يعني: والجبال خشع متذلة لعظم المصيبة بفقده.

الخامس عشر التلّين: وفي معنى الخشوع التذلل والتلّين.⁷⁷ وأصل الخشوع: هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له. قال الراغب: واللين: ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلان لين، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طورا، ويذم به طورا بحسب اختلاف المواقع. قال تعالى: { فِيمَا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَلُتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } [آل عمران 159]، وقوله: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفَشَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمر 23] فإشارة إلى إذعانهم للحق وقبولهم له بعد تأييبهم منه، وإنكارهم إياه.⁷⁸

بهذه المعاني كلها للخشوع نفهم أنه مفهوم ذو معان غنية واسعة متنوعة. لهذا كل عالم فسره وفق وجهة نظره. وهذا أيضا وسع آفاق العلماء والمهتمين به. وعلى هذا تتبلور ظاهرة الخشوع في ميدان واسع من الأفكار والأحوال والأقوال التي تتحقق في القلب والجوارح والأعمال. وهذه كلها تسمى بالخشوع عند العلماء من المحققين وأصحاب المعاجم والمفسرين.

2- الخشوع في الاصطلاح

وأما معنى الخشوع في الاصطلاح: فعبارة العلماء فيه متقاربة في بعضهم يقول: الخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل. وبعضهم قال: الخشوع الانقياد للحق- والواقع أن الانقياد للحق هو من موجبات الخشوع-. ومن قائل الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب. وابن القيم يقول: "إن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار".⁷⁹

وخلاصة القول أن المقصود ب"الخشوع" الذي ذلل نفسه وكسر سورتها وعودها أن تطمئن إلى أمر الله وتطلب حسن العواقب وأن لا تغتر بما تزينه الشهوة الحاضرة فهذا الذي كانت تلك صفته قد استعدت نفسه لقبول الخير. وكان المراد ب"الخشوعين" هنا الخائفون الناظرون في العواقب فتخف عليهم الاستعانة بالصبر والصلاة مع ما في الصبر من القمع للنفس وما في الصلاة من التزام أوقات معينة وطهارة في أوقات قد يكون للعبد فيها اشتغال بما يهوى أو بما يحصل منه مالا أو لذة.⁸⁰

⁷⁴ الراغب؛ المفردات: ص. 330؛ وايضاً: القرطبي؛ الجامع: 244/10؛ و ابن فارس؛ المَجْمَل: 354/2.

⁷⁵ الألوسي؛ روح المعاني: آل عمران: 199.

⁷⁶ راجع: ابن الأنباري (ت: 304)؛ (أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار)؛ الأضداد: ص. 258.

⁷⁷ راجع: ابن عادل؛ تفسير اللباب: 134/15؛ وكذلك ابن عاشور؛ التحرير والتنوير: 274/1.

⁷⁸ الراغب؛ المفردات: ص. 752.

⁷⁹ انظر: ابن القيم؛ المدارج: 521 / 1 - 524.

⁸⁰ انظر: ابن عاشور؛ التحرير والتنوير: 274/1.

والمقصود ب"الخشوع": الإنابة والخضوع ، ومتابعة الأمر والنهي.⁸¹ وهو في الشرع: خشية من الله تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح. ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيهِ والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام التي من جملتها ماسبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله. فعلى هذا خشوع النفس هو سكون وانقباض عن التوجه إلى الإيابة أو العصيان.

وروى ابن أبي نجيج عن مجاهد قال {الخشعون} هم المؤمنون حقًا. وهذا المعنى له مغزى عظيم في فهم ظاهرة الخشوع.

وجاء تعريف إصطلاحى للخشوع عن أبى الدرداء فقال: "الخشوع" إعظام المقام وإخلاص المقال واليقين التام وجمع الاهتمام.⁸² وهذا التعريف أظن أنه أوسع معنى وأعمق حساسية.

وأحسب أن الشارع سبحانه وتعالى قد قصد هذا المعنى في تشريع معظم الأحكام ومن أعظمها الصوم والصلوة والحج والدعوة والجهاد . ولا يصح حمل الخشوع دائماً على خصوص الخشوع في الصلاة بسبب الحال الحاصل في النفس باستشعار العبد الوقوف بين يدي الله تعالى.

3- التعاريف الجامعة للخشوع وتوضيحها

يمكن أن نستخرج من هذه الحدود والتعاريف أن الخوف والخشية والخضوع والإخبات والوجل إلخ... معانيها متقاربة ، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله ، وإذا شاركته الخشية في ذلك يزيد إجتنابه منها وهذا الاجتناب يزيد إذا كان الخوف مقرونا بمعرفة الله ، وأما الخضوع والإخبات والوجل: فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله ، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له الوجل ، وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه ، فهذا خشوع خاص ، وأما الخشوع الدائم الذى هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته ، فيستولى ذلك على القلب كما تستولى المحبة.

والقنوت ورد في القرآن على أحد معنيين: معنى خاص بمعنى الخشوع ، ومعنى عام وهو قنوت المخلوقات كلها لخلق الله وتدبيره وتصريفه.⁸³

فالقنوت يدور في كلام العرب على معنى واحد تدور عليه جميع استعمالات هذه الكلمة، وهو النظام.⁸⁴ وإطمأن وتطامن يتقاربان لفظاً ومعنى.⁸⁵ ولذلك نجد أن بعضهم يعيرون عنه بقولهم: الخاشع المستكين والراكع. وبعضهم يقول: المتضرع.⁸⁶ وبعضهم يقول: المختشع: هو الذى طأطأ رأسه وتواضع، وبعضهم يقول كلاماً يقارب هذا، وهو يدور في لغة العرب على ما ذكرنا من المعاني. وهو الإخبات والتواضع وجمع الهمة والإعراض عما سوى الله بالقلب والتدبر فيما يجرى على اللسان من القراءة والذكر. وهذا العابد لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ولا يرفع يديه فى الصلاة ولا يعرف من على يمينه ولا من على شماله. هذا هو الذى تحدثت الآية عنه و بشرته بالفلاح.⁸⁷

⁸¹ ابن عجيبة، البحر المديد: 248/6.

⁸² راجع: أبو حيان، البحر المحيط: المؤمنون 2، 248/8؛ أيضاً: الألويسي؛ روح المعاني: المؤمنون 2، 157/13.

⁸³ قارن بما بينه عبد الرحمن بن ناصر السعدي، في تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، 117/2.

⁸⁴ انظر: ابن فارس ، (أبو الحسين أحمد)؛ معجم المقاييس في اللغة، ط. الثانية، دار الفكر، بيروت، 1418هـ/1998م ، كتاب الخاء، باب الخاء والشين وما يتلثهما.

⁸⁵ الراغب؛ المفردات: ص. 524.

⁸⁶ انظر: الراغب، المفردات: مادة: ((خشع)).

⁸⁷ قارن بما ذكره طنطاوى جوهرى فى الجواهر فى تفسير القرآن الكريم، ط. الثانية، القاهرة 1350؛ 96/11.

يقول الفخرالدين الرازي (ت:606) : الخشوع هو معنى يقوم بالنفس يظهر عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة.⁸⁸

وابن القيم (ت:751) يقول: إن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار.⁸⁹

والحافظ ابن حجر (ت:852) نقل عن بعضهم تعريف الخشوع بأنه تارة يكون من فعل القلب كالخشبية، وتارة من فعل البدن كالسكون؛ سكون الأعضاء والجوارح. وقد قيل لا بد من اعتبار الأمرين حتى يكون ذلك من قبيل الخشوع المعتبر. وبعضهم يقول: هو معنى يقوم في النفس ويظهر عنه سكون الأطراف يلائم مقصود العبادة.⁹⁰

ويقول الألويسي (ت:1270) في تفسير لفظ {سجداً} الذي ورد في الآية 58 من سورة البقرة: "والمراد خضعاً متواضعين لأن اللائق بحال المذنب التائب والمطيع الموافق الخشوع والمسكنة".⁹¹

وابن رجب (ت:795) يقول في توضيح معنى الخشوع (الخشوع في الصلاة): أصله لين القلب ورقته، وخضوعه وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له كما قال (ص): "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها الجسد وإذا فسدت فسد لها الجسد كله".⁹²

وكان رسول الله (ص) يقول في ركوعه في الصلاة: "...خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمَخْيَ وَعَظْمِي..."⁹³ فهو يرى أن خضوع الجوارح هو ثمرة لخضوع القلب ولينه. وابن تيمية يرى أن الخشوع يتضمن معنيين: أحدهما: التواضع والتذلل. والثاني: السكون والطمأنينة، وذلك مستلزم للين القلب ومناف للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضاً، ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا معاً أي: التواضع والسكون.⁹⁴

فابن تيمية (ت:728) يرى أن لين القلب هو نتيجة وأثر ولازم من لوازم الخشوع، وأن الخشوع هو التواضع والتذلل والسكون والطمأنينة، ولهذا جاء عن علي (ر): الخشوع في القلب أن تلين كنفك للرجل المسلم وألا تلتفت في الصلاة. وجاء عنه أن الخشوع في القلب. وهكذا جاء عن إبراهيم النخعي أيضاً وطائفة من السلف، وكان ابن سيرين يقول: كانوا يقولون في معنى الخشوع: أن لا يجاوز بصره مصلاه. وسئل الأوزاعي عن الخشوع، فقال: غض البصر، وخفض الجناح، ولين القلب وهو الحزن والخوف. وكان الأوزاعي: كأنه أعمى من الخشوع يعني أن ذلك أثر أيضاً على بصره ونظره.⁹⁵

والخلاصة: أن الخشوع معنى ينتظم خضوع القلب وانكساره وذلّه وعبوديته، وتواضعه وسكونه ، وطمأنينته مع المحبة والتعظيم والخشية لله تعالى، ويظهر أثره على الجوارح بسكونها والتواضع للخلق، فيكون القلب عامراً بالطمأنينة والسكون ، والمحبة والتذلل والتعظيم، مع خضوع الجوارح، وسكون الجسم، وتواضع العبد، وسكون النظر والطرف.

⁸⁸ المناوي (محمد عبد الرؤوف)؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبط وتصحيح: احمد عبد السلام، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1994/1415: 16/6؛ وكذلك ابن حجر؛ فتح الباري: 225/2؛ أيضاً الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح: 160/3.

⁸⁹ ابن القيم (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت 1393/1973، 522/1.

⁹⁰ ابن حجر؛ فتح الباري، 225/2. وانظر: الشوكاني؛ نيل الأوطار: 156/2؛ المناوي؛ فيض القدير، 16/6.

⁹¹ الألويسي؛ روح المعاني، آل عمران: 199.

⁹² صحيح البخاري، الإيمان، فضل من إستبرأ لدينه؛ صحيح مسلم، 22/المساقاة والمعاملة بجزء من الزرع والثمر 20/أخذ الحلال وترك الحرام، رقم الحديث: 1599، 1219/3.

⁹³ أخرجه مسلم 7/صلاة المسافرين 26/الدعاء في صلاة الليل وقيامه، 185/2، رقم الحديث: 1848.

⁹⁴ أنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: 28/7.

⁹⁵ انظر خالد السيت، سلسلة أعمال القلوب، الخشوع ص. 123.

ولهذا قال الزمخشري (ت:538) : "وقيل: الخشوع هو جمع الهمة لها أى للصلاة والإعراض عما سواها. ومن الخشوع أن يستعمل الأداب: فيتوقى كَفَّ الثوب ، والعبث بجسده وثيابه والالتفات ، والتمطى ، والتثاؤب ، والتغميض ، وتغطية الفم ، والسدل ، والفرقة ، والتشبيك ، والاختصار ، وتقلب الحصا"⁹⁶.

وأظن أن من أحسن وأجمع التعاريف للخشوع تعريف الطباطبائي (ت:1981) في الميزان؛⁹⁷ فقال: " الخشوع تأثر خاص من المقهور قبالة القاهر بحيث ينقطع عن غيره بالتوجه إليه. والظاهر أنه من صفات القلب ثم ينصب إلي الجوارح أو غيره بنوع من العناية. والخشوع بهذا المعنى جامع لجميع المعاني التي فسر بها الخشوع في الآية [المؤمنون 2]."

ب- أنواع الخشوع

1- الخشوع في الصلاة

والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وأثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين.⁹⁸

فإن الصلاة خشوع وخضوع وسكينة وأكمل ما يكون الإنسان في ذكره لربه في الخشوع، والخشوع سر بين العبد وبين ربه في قلبه، فإنه إذا خشع قلبه لله سبحانه وتعالى سكنت جوارحه واستكانت وتذلت لله سبحانه؛ فأحب الله مقامه، وهذا من مقامات العبودية لله، وهو مقام الخشوع الذي أثنى الله على أهله، ووعدهم بجنات عدن، ووعدهم بالمنازل الحسنى في الآخرة.

فإن كمال العبادة أن يكون المرء حريصاً على الإخلاص وكثرة الذكر، وإذا صحب هذين الأمرين خشوع صادق فإنه بخير المنازل.⁹⁹

والصلاة تشغل كل بدن المصلي ، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذلت، وخامرها إرتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكذب يفتقر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة. وروى عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد وإصفر لونه، فكلّم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك. فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول الاجزاء، لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل، كصلاتنا - وليتها تجزى - فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان، فإن كان على طريقة معاص تبعده من الله تعالى تركته الصلاة يتمادى على بعده.¹⁰⁰

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدياً بين يدي ربه، مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتتنقى بذلك الوسوس والأفكار الرديئة، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثاباً عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها.¹⁰¹

⁹⁶ الزمخشري؛ الكشاف: 175/3؛ وكذلك أبو حيان، البحر المحيط: المؤمنون 2، 248/8.

⁹⁷ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1342، 4-3/15.

⁹⁸ ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم: 461/5.

⁹⁹ محمد بن محمد الشنقيطي؛ شرح زاد المستقنى: 216/13؛ 38/14.

¹⁰⁰ القرطبي؛ الجامع: 348/13.

¹⁰¹ ابن السعدي؛ تيسير كريم الرحمن: 547/1.

لأن الوقوف في الصلاة وقوف ذل وتخضع ، وقد أثنى الله على الخاشع فيها والخشوع البالغ الموجب للثناء خشوع القلب ومن لازمه خشوع الجوارح ، وقد يصلي المصلي بجوارحه وليس بخاشع ، فخشوع القلب هو المطلوب.¹⁰²

إن المصلي حقاً من يقيم الصلاة كاملة الفرائض والأركان، مستوفية الشروط والواجبات والأداب، يستغرق فيها القلب، ويتفاعل من خلالها الوجدان، ويحافظ عليها محافظةً تامةً قدر الطاقة، يبعثه على ذلك قلب يقظ، وشعور صادق، وإحساس مرهف، وضمير حي ، فينصرف بكلية إلى الصلاة؛ لأن الخشوع فيها إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وأثرها على غيرها، ومنزلة الخشوع من الصلاة كمنزلة الرأس من الجسد، فالذي يجعل الصلاة مرتعاً للتفكير في أمور دنياه، ومحلاً للهواجس في مشاغله قلبه في كل واد، وهمه في كل مكان، يختلس الشيطان من صلاته بكثرة التفاته، وعبثه بملابسه ويده ورجله وجوارحه، وربما أخل بطمأنينيتها، ولم يع ما قرأ فيها، فيخشى أن ترد عليه صلاته، فقد ورد عند الطبراني وغيره أن صلاة من هذه حاله: {تلف كما يلف الثوب الخلق، ثم يرمى بها وجه صاحبها}.¹⁰³

قال رسول الله (ص) في حديث له: "لقد أنزل على عشر آيات؛ من أقامهن دخل الجنة"؛ ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} حتى ختم العشر.¹⁰⁴ وقد افتتح الله هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها.¹⁰⁵ قال يزيد ابن بابنوس قلنا لعائشة: يا أم المؤمنين؛ كيف كان خلق رسول الله (ص)؟ قالت: كان خلق رسول الله (ص) القرآن؛ فقرأت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - إلي - يُحَافِظُونَ} [المؤمنون 1-9]؛ قالت: هكذا كان خلق رسول الله (ص).¹⁰⁶ تعني المواد المذكورة في هذه الآيات.

قال ابن العربي (ت: 453): "من غريب القرآن أن هذه الآيات العشر عامة في الرجال والنساء، كسائر ألفاظ القرآن التي هي محتملة لهم فإنها عامة فيهم، إلا قوله {والذين هم لفروجهم حافظون} فإنما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات، بدليل قوله: {إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون 6]. وإنما عرف حفظ المرأة فرجها من أدلة أخرى كآيات الإحصان عموماً وخصوصاً وغير ذلك من الأدلة"¹⁰⁷

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين كما قال النبي (ص) في الحديث الذي أخرجه أحمد والنسائي عن أنس: "حُبِّبَ إِلَيَّ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ وَجُعِلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ".¹⁰⁸

أحسب أن الرسول (ص) كان عندما يقول في أونة الصلاة الموقوتة: "أرْحَنَّا بِالصَّلَاةِ يَا بَلَاءُ"¹⁰⁹ يشير إلى هذا المعنى .

2- الخشوع في الحياة اليومية

إذا حصل مؤمن على الخشوع في الصلاة و قراءة القرآن والصوم والحج والدعاء وسائر العبادات فهو ذو حظ عظيم في الخشوع. وهل هذا يكفي له؟ الجواب القطعي هو: لا. ويجب عليه أيضاً أن

¹⁰² المناوي؛ فيض القدير شرح جامع الصغير: 529/1.

¹⁰³ الألوسي؛ روح المعاني: 124/20.

¹⁰⁴ مسند الإمام أحمد، 34/1.

¹⁰⁵ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 458/5.

¹⁰⁶ سنن النسائي؛ وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 454/5.

¹⁰⁷ القرطبي؛ الجامع: المؤمنون: 5، 105/12.

¹⁰⁸ سنن النسائي: عشرة النساء/حب النساء (16/7)؛ مسند الإمام أحمد: 128/3، 199، 285؛ وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن

العظيم، 14/2، 456/5.

¹⁰⁹ مسند الإمام أحمد، عن أنس: 364، 371/5؛ وكذلك: سنن أبي داود، الأدب (رقم الحديث: 4985).

يحصل على أنواع أخرى للخشوع. مثل الخشوع في المعاملات كلها والذكر. ومعلوم أن للذكر دوراً في رقة القلب. فإذا رق القلب خشع لله بنور ذكر الله. كأنه تعالى دعاهم بلطفه الى سماع ذكره بنعت الخشوع والخضوع والمتابعة لقوله والاستلذاذ بذكره حتى لا يبقى في قلوبهم لذة فوق لذة ذكره.¹¹⁰

قال سفيان الثوري سألت الأعمش عن الخشوع فقال يا ثوري أنت تريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع ! سألت إبراهيم النخعي عن الخشوع فقال: أعيمش ! تريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع ! ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الرأس ! لكن الخشوع أن ترى الشريف والذليل في الحق سواء وتخضع لله في كل فرض أفترض عليك ونظر عمر بن الخطاب إلى شاب قد نكس رأسه فقال يا هذا ! ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب.

وعن أبي بكر الصديق (ر) أن هذه الآية (الحديد 16) قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديداً فنظر إليهم فقال: هكذا كنا؛ "حتى" قست القلوب" قال السهروودي في (العوارف) "حتى قست القلوب" أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم : "حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة." إشارة منه إلى استمرار حال الشهود انتهى فقوله: "حتى قست القلوب" ظاهره تقبيح للقلوب بالقسوة والتلوين وحقيقته تحسين لها بالشهود والتمكين. قال البقلي في الآية هذا في حق قوم من ضعفاء المريدين الذين في نفوسهم بقايا الميل إلى الحظوظ حتى يحتاجوا إلى الخشوع عند ذكر الله وأهل الصفوة واحترقوا في الله بنيران محبة ولو كان هذا الخطاب للكاتب لقال : أن تخضع قلوبهم لأن الخشوع موضع فناء العارف في المعروف وإرادة الحق بنعت الشوق إليه فناؤهم في بقائه بنعت الوله والهيمن والخشوع.¹¹¹

قال أبو الدرداء (ر): استعيز بالله من خشوع النفاق قيل: وما خشوع النفاق قال أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع.¹¹²

يفسر الطبري (ت:310) "الركوع والسجود" في آية: { يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } [مريم: 43] "بأنهما بمعنى الخشوع لله، والخضوع له بالطاعة والعبادة (العبودية). فتأويل الآية، إذ: يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصاً، واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه، شكراً له على ما أكرمك به من الإصطفاء والتطهير من الأذناس، والتفضيل على نساء عالم دهرك."¹¹³

الصلوة والركوع والسجود سهل بسيط علي الخاشعين ولكنها صعب و ثقيل علي أهل النفاق والفساد. تشير آية من سورة البقرة إلي هذه الحقيقة. وفي تفسير الآية اختلف المتأولون في عود الضمير من قوله: { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ } [البقرة 45]، فقيل: علي الصلاة وحدها خاصة لأنها تكبر علي النفوس ما لا يكبر الصوم والصبر هنا: الصوم فالصلاة فيها سجن النفوس والصوم إنما فيه منع الشهوة فليس من منع شهوة واحدة أو شهوتين كمن منع جميع الشهوات. فالصائم إنما منع شهوة النساء والطعام والشراب ثم ينبسط في سائر الشهوات من الكلام والمشى والنظر إلى غير ذلك من ملاقات الخلق فيتسلى بتلك الأشياء عما منع. والمصلي يمتنع من جميع ذلك فجوارحه كلها مقيدة بالصلاة عن جميع الشهوات.

وإذا كان كذلك كانت الصلاة أصعب علي النفس ومكابدتها أشد فلذلك قال { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ } وقيل: عليهما ولكنه كنى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله { وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [التوبة 34] وقوله: { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا

¹¹⁰ ابن عاشور؛ التحرير والتنوير: 274/1؛ وكذلك تفسير حقي: 128/15.

¹¹¹ نقل هذه العبارة الألوسى في روح المعاني عند تفسير الآية التاسعة من سورة الحديد (298/9). ونقله أيضاً إسماعيل حقي في

روح البيان: 128/15.

¹¹² البيهقي، شعب الإيمان، 220/9، 59/14؛ ابن أبي شيبه، المصنف، 59/14؛ السمرقندي، بحر العلوم، 385/3.

¹¹³ الطبري؛ جامع البيان: مريم: 43.

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [الجمعة 11]. فرد الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم وإلى التجارة لأنها الأفضل والأهم.¹¹⁴

أخبر الله تعالى في آية { وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا } [مريم 58]، أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً وخوفاً حذراً. والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم. وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد. ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن.¹¹⁵

يقول سيد قطب في تصويره للكون الخاشع بكل أجزائه إنه ليس مجرد التفكير ومجرد التدبير. وليس مجرد الخشوع والارتجاف. وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات والنجاة من الخزي ومن النار.. إنما هو "العمل" العمل الإيجابي، الذي ينشأ عن هذا التلقي، وعن هذه الاستجابة، وعن هذه الحساسية الممتلئة في هذه الارتجافة. العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكير، والتدبير والذكر والاستغفار، والخوف من الله، والتوجه إليه بالرجاء. بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة، والذي يقبل من الجميع: ذكرانا وإنائاً بلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس. فكلهم سواء في الإنسانية وكلهم سواء في الميزان.¹¹⁶

ويضيف قطب إلى ما قال هذا التفسير أيضاً: ذلك والكون من حولهم بنواميسه وظواهره يوحى بالإيمان، ويوحى بالخشوع: { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأً ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ } [النحل 48]. ومشهد الظلال تمتد وتترجع، تثبت وتمائل، مشهد موح لمن يفتح قلبه، ويوقظ حسه، ويتجاوب مع الكون حوله. والسياق القرآني يعبر عن خضوع الأشياء لنواميس الله بالسجود وهو أقصى مظاهر الخضوع ويوجه إلى حركة الظلال المتفينة أى الراجعة بعد امتداد وهي حركة لطيفة خفيفة ذات ديبب في المشاعر وثيد عميق. ويرسم المخلوقات داخرة أى خاضعة خاشعة طائعة. ويضم إليها ما في السماوات وما في الأرض من دابة. ويضيف إلى الحشد الكوني.. الملائكة فإذا مشهد عجيب من الأشياء والظلال والدواب. ومعهم الملائكة. في مقام خشوع وخضوع وعبادة وسجود. لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يخالفون عن أمره. والمنكرون المستكبرون من بنى الإنسان وحدهم شواذ في هذا المقام العجيب.¹¹⁷

كان مدار السورة على تحقيق حقيقة الإيمان في القلب؛ وما ينبثق عن هذه الحقيقة من خشوع وتقوى، ومن خلوص وتجرد، ومن بذل وتضحية. وهذه لمحات ذات طابع خاص. طابع يجمع بين الخشوع الساكن، والجلال المرهوب. وهي تتفق في ظلها مع ظلال مطلع السورة ومشاهدها بصفة عامة. هذه الأرض تقف خاشعة لله، وهي تتلقى من يديه الحياة. ونقف لحظة أمام دقة التعبير القرآني في كل موضع. فخشوع الأرض هنا هو سكونها قبل نزول الماء عليها. فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت. وكأنما هي حركة شكر وصلاة على أسباب الحياة. ذلك أن السياق الذي وردت فيه هذه الآية سياق خشوع وعبادة وتسبيح، فجيء بالأرض في هذا المشهد، شخصاً من شخوص المشهد، تشارك فيه بالشعور المناسب وبالحركة المناسبة.¹¹⁸

وخلاصة ما قلنا: يقدم الإسلام للإنسانية مزيجاً صالحاً من عقيدة راشدة ترفع همّة العبد وعبادة قويمة تظهر نفس الإنسان وأخلاق عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة في الأرض وأحكام شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة دينا يوافق الفطرة وبلائم الطبيعة ويشبع حاجات القلب والعقل ويساعد مطالب الروح

¹¹⁴ القرطبي؛ الجامع: البقرة: 45؛ 373/1.

¹¹⁵ الخازن، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ: 352/4.

¹¹⁶ سيد قطب؛ في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1402: 32/2.

¹¹⁷ سيد قطب؛ في ظلال القرآن: 468/4.

¹¹⁸ سيد قطب؛ في ظلال القرآن: 297/6.

والجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا ويجمع بين عز الآخرة والدنيا كل ذلك في قصد واعتدال وبراهين واضحة مقنعة تملك اللب وتبهر العقل.

ج- أهمية الخشوع وحكمه

الخشوع بلا شك في غاية الأهمية، ومن فقداه فقد واجباً من واجبات الإيمان. ولأهمية الصلاة وعظم شأنها وسمو منزلتها في الإسلام كانت الأوامر الربانية والنبوية في كتاب الله وسنة رسول الله (ص) تحت وتؤكد على ضرورة الإلتزام بها شكلاً ومضموناً، والذي يؤسف له أن الكثير يتقن الشكل الخارجي في البناء لكنه يهمل المضمون، يهمل الروح التي هي حقيقة الصلاة ألا وهي الخشوع.

ولا يندفع الإنسان بكونه يصلي ويضع المهم في الصلاة وهو الخشوع، الصلاة حركة قلب قبل أن تكون حركة بدن، فإذا تحرك البدن وقام وقعد وركع وسجد ولكن القلب خالٍ من ذكر الله وعظمته، مشغول بالدنيا، مفكر في حطامها خارج المسجد ، ولذا قد يصلي الرجلان ويكون بينهما كما بين السماء والأرض، شخص خاشع يجول في العرش، والآخر غافل قلبه يدور في الحش، يعني في الدنيا.¹¹⁹

ولذا يذكر ابن القيم أهمية الخشوع في كثير من كتبه وهو خير من تناول هذا البحث. وقد عني العلماء في القديم والحديث بأمر الخشوع في الصلاة بصورة تتناسب بما له من أهمية؛ لأنه يترتب عليه قبول الصلاة أو ردها.

1- حث القرآن الكريم على الخشوع كثيراً وحذر من فقدانه

في القرآن الكريم إشارات وتوصيات وتحذيرات كثيرة جداً علي الخشوع؛ فمثلاً يقول الله تعالى: {قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا نَبِيَّ فِيهِ وَلَا خَلالٌ} [إبراهيم 31] فهذه الآية وأمثالها تفيد أن المؤمنين يصلونها في أوقاتها جماعة مع إتمام الركوع والسجود والخشوع.¹²⁰ وإن الله عز وجل يقول: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة 45]. يمكن لنا الاستدلال بهذه الآية أنها تقتضي دم غير الخاشعين: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}. فغير الخاشع تكون كبيرة عليه؛ وهذا دم في غاية الذم.

قال الله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه 14] "الذكر لله": الذي ورد في القرآن الأمر به والثناء على أهله، وما رتب عليه من الجزاء يطلق على جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، الفولية والفعلية، فكل ما تصوره القلب أو أراده أو فعله العبد أو تكلم به مما يقرب إلى الله فهو ذكر الله، والله تعالى شرع العبادات كلها لإقامة ذكره، فهي ذكر الله، ويطلق على ذكر الله باللسان بذكر أوصافه وأفعاله والثناء عليه بنعمه وتسيحه وتكبيره وتحميده والتهليل والصلاة على النبي (ص)، ومن ذكره ذكر أحكامه بتعلمها وتعليمها، ولهذا يقال لمجالس التعليم والتعلم مجالس الذكر، وأفضل أنواع الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان.¹²¹

من مجموع هذه الآيات يفهم أن كتاب الله عز وجل يشير إلى أن من كبر عليه ما يحبه الله مذموم بذلك، وأن ذلك مسخوط منه، والذم أو السخط لا يكون إلا لترك واجب، أو فعل محرم، وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دل ذلك على وجوب الخشوع.

¹¹⁹ سعيد بن مسعر القحطاني، دروس، الدرس 53، ص. 3.

¹²⁰ محمد غازي الدروبي؛ شرح الكلمات وما ترشد إليه الآيات، (سورة إبراهيم 31).

¹²¹ ابن السعدي؛ تيسير كريم الرحمن: 118/2.

2- حث رسول الله على الخشوع بحياته ومعاملاته

فمن هذا التحضيض والحث كان الرسول يدعو في ركوعه: "اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسَلَمْتُ خَشَعْتُ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعِظَامِي وَعَصَبِي ..."¹²²

وكان من هذا الحث أيضاً يقول (ص): "مَا مِنْ أَمْرٍ مُسَلِّمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ"¹²³

وكان الرسول يقول أيضاً: "مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْخَاشِعِ الرَّكَعِ السَّاجِدِ"¹²⁴ فهذه الأحاديث تدل على منزلة من خشع لله في صلاته وعبادته.

ومن الجانب الآخر إن النبي (ص) توعد تارك الخشوع، كالذي يرفع بصره إلى السماء، فإن حركته ورفع البصر يدل على عدم الخشوع وعلى ضد حال الخاشع. فعن أنس بن مالك قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ" فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهِنَ عَنِ ذَلِكَ أَوْ لَيُخَطِّفْنَ أَبْصَارَهُمْ". وكذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِمْ"¹²⁵ فاستدل به على أن الخشوع واجب، وبهذا استدل أيضاً الحافظ العراقي.¹²⁶

أن الصلاة - يعني صلاة الظهر - يشرع تأخيرها عن أول الوقت إلى حد الإبراد، مع أن الصلاة في أول الوقت محبوبة إلى الله عز وجل كما ورد: "أفضل الأعمال الصلاة على وقتها"¹²⁷ ومع ذلك شرع لنا النبي (ص) الإبراد بالصلاة، وحكمة هذا التأخير كما ذكره الحافظ ابن القيم: أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع وحضور القلب والتأثر بها.¹²⁸

فصلاة بلا خشوع كأنها جسد بلا روح.¹²⁹ ولذلك كان النبي (ص) يقول في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع...." ¹³⁰ فهذا الرسول (ص) يتعوذ بالله من قلب خال من الخشوع. وهذه الإستعادة لها مغزي كبير في أهمية الخشوع والخوف من فقدانه. لأن الرسول نفسه يخاف من صلاة أو عمل أوحياة فقد فيها الخشوع.

3- كان جيل الصحابة والتابعين لهم بإحسان يحرضون على الخشوع

الروايات الواردة عن الصحابة والتابعين في التحريض على الخشوع وافرة كثيرة. ففي صحيح مسلم، عن ابن مسعود قال: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعُوا قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ } [الحدي:16] إلا أربع سنين."¹³¹ والفتنة هنا علي ما بينه العلماء الشغل عن خشوع الصلاة.

¹²² أخرجه مسلم في صحيحه، 7/صلاة المسافرين 26/الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم الحديث: 1848.

¹²³ أخرجه مسلم في صحيحه، 3/طهارة 4/فضل الوضوء والصلاة عقبه، 142/1، رقم الحديث: 565.

¹²⁴ أخرجه النسائي بإسناد صحيح، الجهاد/ فضل راحة في سبيل الله، 12/3، رقم الحديث: 4332.

¹²⁵ أخرجه البخاري، 16/صفة الصلاة 10/رفع البصر إلى السماء في الصلاة، 261/1، رقم الحديث: 717.

¹²⁶ انظر: العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ: 372/2.

¹²⁷ أخرجه البخاري، 81/الأدب 1/البر والصلة، 2227/5 رقم الحديث: 5625.

¹²⁸ انظر: ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق وتخرير عبد القادر الأرنؤوط - مكتبة دار البيان، ط. الثانية، دمشق 1399: ص 24.

¹²⁹ الألويسي؛ روح المعاني: 71/13.

¹³⁰ أخرجه الترمذي، 5/ 485 رقم 3482 وهو في (صحيح سنن الترمذي) للألباني. رقم الحديث: 2769.

¹³¹ صحيح مسلم، الصلاة، 54/معرفة الركعتين اللتين... 2319/4، رقم الحديث: 3024، القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن:

104/12؛ أبو السعود، محمد بن محمد العمادي؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي،

بيروت 208/8؛ ابن عادل؛ اللباب في علوم الكتاب: 134/15؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي؛ زاد المسير في علم

التفسير، ط. الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت 1404، 167/8؛ البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود؛ معالم

و محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256) ذكر في قصته وترجمته أنه خرج مع قوم إلى حائط مزرعة، فقام يصلي بالناس الظهر، فلما فرغ قام يتطوع، فلما فرغ من تطوعه رفع ثوبه وقال لبعض من معه: انظروا هل ترون تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر، أو سبعة عشر موضعاً، وتورم ذلك من جسده، فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ذلك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.¹³²

عن حذيفة (ر) قال: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع و آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة و لتتقضن عرى الإسلام عروة عروة.¹³³

وليس الأمر كما يلاحظ بالتمني بل هي من الأمور التي تحصل للعبد بالمجاهدة، فالقضية كما لا يخفي تحتاج إلى مزيد من بذل الجهد، فكلمة تزداد مجاهدة تتمكن من النفس، فإذا استقامت النفس وخضعت حصل الخشوع. ولذلك يقول محمد بن المنكدر: "كابدت الصلاة عشرين سنة وتلذذت بها عشرين سنة".¹³⁴

كان أولئك السلف رحمهم الله بهذا المستوى من الإيمان والخشوع والإقبال على الله سبحانه وتعالى، فكانت صلاتهم تزيدهم إيماناً ونوراً، وكانت زكاتهم تزيدهم زكاءً وقرباً، وكان صيامهم مدرسة تعودهم على التقوى كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]، وكان حجهم كذلك تصفية وتطهيراً لهم، كما قال (ص): "من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"¹³⁵، وكما قال تعالى: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى} [البقرة: 203] أي: تغفر له ذنوبه كلها فيرجع ولا إثم عليه، وإنما ذلك لمن اتقى فقط. أما الذي لا يتقي فليس له عند الله أي عهد.

4- كثير من العلماء والحكماء أشاروا بأفكارهم إلى فرضية أو وجوبية الخشوع.

قد حث الشرع على الخشوع في الصلاة ورغب فيه وبيّن فضله في العديد من النصوص نذكر منها قول الله عزّ وجلّ {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون 1-2]. وقوله تعالى {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة 45-46].

قال رسول الله (ص): "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله".¹³⁶

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "أشهد سمعت رسول الله (ص) يقول خمس صلوات افترضهن الله على عباده، من أحسن وضوءهن وصلأهن لوقتهن، فأتم ركوعهن وسجودهن

¹³² التنزيل، التحقيق وتخريج أحاديثه: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط. الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997/1417، 37/8؛ أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: 270/5؛ عبد المجيد الشبخ عبد الباري؛ الروايات التفسيرية في فتح الباري: 1184/3؛ النسائي، التفسير، سورة الرحمن، 481/6، رقم الحديث: 11568.

¹³³ أنظر: ابن حجر، فتح الباري، 481-480/2.

¹³⁴ الحاكم؛ (أبو عبد محمد بن عبد الله)؛ المستدرک علی الصحیحین، التحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1990/1411، 516/4، رقم الحديث: 8448، ابن القيم، مدارج السالكين، 521/1.

¹³⁵ انظر خالد السبت، سلسلة أعمال القلوب، الخشوع، ص. 166.

¹³⁶ أخرجه البخاري، الحج 4، المحصر 9، 10؛ ومسلم، الحج 438؛ سنن الترمذي، الحج 2؛ سنن النسائي، الحج 4.

¹³⁶ أخرجه مسلم، الإيمان 18 أخرجه مسلم، الإيمان 29؛ وأبو داود، الصلاة 9، والترمذي، الزكاة 6؛ والنسائي، الزكاة 46؛ وسنن ابن ماجه.

وخشوعين كان له عند الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.¹³⁷

وقد اختلف الفقهاء في حكم الخشوع في الصلاة، فاختار أكثرهم الندب والإستحباب، واختار الآخرون الوجوب وهو الصحيح.

وحتى نتبين وجه الصواب في هذه المسألة لننظر في النصوص المتعلقة بذلك:

أ - عن أبي هريرة رضى الله عنه "أن رسول الله (ص) كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت: { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون 2]، فطأ رأسه.¹³⁸

ب - قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون 1-11].

ج - عن جابر بن سمرة (ر) قال "كنا إذا صلينا مع رسول الله (ص) قلنا: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، وأشار بيده إلى الجانبين، فقال رسول الله (ص): "علامَ تُؤمنون بأيديكم كأنها أذنابُ خيلِ شمسٍ؟" ¹³⁹ وفي رواية أخرى: "خرج علينا رسول الله (ص) فقال: ما لى أراكم رافعي أيديكم كأنها أذنابُ خيلِ شمسٍ؟ اسكنوا فى الصلاة..."¹⁴⁰

الدليل الأول يدل على وجوب الخشوع، فقد كان رسول الله (ص) ينظر إلى السماء في صلاته فنزل قوله تعالى { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون 2]. ففهم عليه الصلاة والسلام من هذه الآية أن الخشوع يقتضي عدم رفع النظر فطأ رأسه، وهذا كله يدل على أن الخشوع يتعارض مع رفع البصر، وأن رفع البصر يتعارض مع الخشوع، وما دام أن رفع البصر حرام، فالخشوع بخفض البصر إذن واجب.

الدليل الثاني علي وجوب الخشوع أن الله سبحانه علق فلاح المؤمنين في الآخرة بجملة صفات من أولها الخشوع. وهذا يعني أن من أراد الفوز بالفلاح ودخول أعلى درجات الجنة فليخشع في صلاته، وليعترض عن اللغو ولئزك، وليحفظ فرجه، ولئبراع الأمانة والعهد، وليحافظ على الصلاة، فإن ترك فعلاً من هذه الأفعال لم يستحق الفلاح ودخول الفردوس، بمعنى أن من لا يخشع لا يضمن الفلاح ودخول الفردوس، فهل يمكن أن يدعي بعد ذلك أن الخشوع غير واجب؟ اللهم لا.

إن الفلاح ودخول الفردوس هما الفوز الأكبر، وإن الفوز الأكبر بحاجة إلى الثمن الأكبر والثمن الأكبر لا يكون من صنف المندوبات، وإنما هو من الواجبات، ولهذا نجد أن جميع المذكورات في هؤلاء الآيات المباركات هي من الواجبات، إذن فالخشوع واجب.¹⁴¹

وأما الدليل الثالث، فالرسول (ص) قد نهى المسلمين عن تحريك الأيدي عند التسليم والخروج من الصلاة نهياً قاسياً، فقد سألهم سؤالاً استنكارياً، وشبه أيديهم بأذناب الخيل، ثم نهاهم باللفظ الصريح "اسكنوا" ويبعد أن يكون كل ذلك لمجرد رؤية أمرٍ مكروهٍ فحسب، فلم يبق إلا أنه نهى عن فعلٍ محرّمٍ

¹³⁷ الزكاة 1، الإقامة 194 ومسند الإمام أحمد ابن حنبل، 223/1، 317/5، 422.

¹³⁸ أخرجه الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990/1411: 426/2؛ وانظر: محمود عبداللطيف عويضة؛ الجامع لأحكام الصلاة، ط. الرابعة، عمان، 2004. 333/2.

¹³⁹ أخرجه مسلم 5/الصلاة 27/الأمر بالسكون في الصلاة، 29/2، رقم الحديث: 998.

¹⁴⁰ محمود عبداللطيف عويضة؛ الجامع لأحكام الصلاة: 334/2.

¹⁴¹ انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي: 554/22؛ والقواعد النورانية الفقهية، ص. 42.

مضاداً للخشوع. وبذلك يثبت للخشوع حكم الوجوب، فالخشوع واجب في الصلاة.¹⁴² قُتِبَتْ أَنَّ الْخُشُوعَ وَاجِبٌ فِي الصَّلَاةِ .

قال القرطبي (ت:671): اختلف الناس في الخشوع: هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها؟ على قولين؛ والصحيح الأول. ومحل القلب. وقال ابن تيمية في قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة 45] وهذا يقتضى ذم غير الخاشعين والذم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرم وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دل ذلك على وجوب الخشوع. ومن الطرف الآخر أخبر سبحانه - كما ذكرنا آنفاً - أن هؤلاء هم الذين يرثون جنة الفردوس وذلك يقتضى أنه لا يرثها غيرهم. قد دل هذا على وجوب هذه الخصال إذ لو كان فيها ما هو مستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها لأن الجنة تنال بفعل الواجبات دون المستحبات ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب. ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أيضاً أن النبي (ص) توعد الذين يرفعون أبصارهم إلى السماء لأن هذا يتنافى مع الخشوع في الصلاة. فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: دخل رسول الله المسجد وفيه ناس يصلون رافعي أبصارهم إلى السماء فقال: "لينتهي رجالٌ يُشخصون أبصارهم إلى السماء أو لترجع إليهم أبصارهم."¹⁴³

وقال الإمام أبو حامد الغزالي (ت:505) في: "بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب": "إعلم أن الأدلة على ذلك كثيرة من ذلك قوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} وظاهر الأمر للوجوب. والغفلة تضادُّ الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقبلاً للصلاة لذكره. وقوله تعالى: {وَلَا تُكِنُّ مِنَ الْعَافِينَ} [الأعراف 205] فهذا نهى وظاهر النهى التحريم، فالتحقيق أن المصلي مناج ربه عز وجل كما في الحديث المتفق عليه من حديث أنس "المصلي يناجي ربه."¹⁴⁴ والكلام والصلاة مع الغفلة ليس بمنجاة ألبته.¹⁴⁵

قال ابن القيم (ت:751): في حكم الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها؟

هناك من العلماء من قال بوجوب الخشوع في الصلاة. ومنهم من قال: بل هو من فضائل الصلاة ومكملاتها. فمن قال بوجوبه: الإمام الغزالي في الإحياء وتابعه فريق من العلماء ، وقال بوجوبه ابن حامد من أصحاب الإمام أحمد، وروى عن الإمام أحمد روايتان ، وقال بوجوبه ابن تيمية. وقال الإمام النووي وابن حجر إنه من سنن الصلاة. وجعله الرازي شرط صحة لا شرط قبول. وفصل القول الإمام ابن القيم في مدارج السالكين فقال: الخشوع واجب من واجبات الصلاة على قول طائفة من أهل العلم، ومن اختار هذا القول: القرطبي صاحب التفسير، وكذلك ابن تيمية والحافظ ابن القيم.¹⁴⁶ وطائفة من السلف والخلف. وقد استدلل ابن تيمية على أن الخشوع واجب من واجبات الصلاة بأدلة متعددة.

وأظن أن في الآية إشارة إلى أهمية الخشوع وأنه واجب أو شرط من شروط الصلاة كما هو ظاهر، وكان الخشوع سنة للمؤمنين كلهم لثناء الله تعالى في كتابه العزيز على فاعليه ولانتفاء ثواب الصلاة بانتفائه كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة والسنة العملية للرسول. ولأن لنا وجهاً اختاره جمع من العلماء أنه شرط للصحة لكن في بعض الصلاة فيكره الاسترسال مع حديث النفس والعبث كتسوية رداؤه أو عمامته لغير ضرورة من تحصيل سنة أو دفع مضرة ، وقيل يحرم ، وللإمام الألويسي في هذا المقام كلام طويل من أراده فليرجع إليه.¹⁴⁷

¹⁴² عويضة؛ الجامع لأحكام الصلاة: 336/2.

¹⁴³ انظر: ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى: 554/22.

¹⁴⁴ أبو داود؛ السنن: 2/الصلاة 169/النظر في الصلاة، 343/1، رقم الحديث: 913.

¹⁴⁵ أخرجه البخاري في صحيحه ، المواقيت 8، الصلاة 33، 36، 39؛ المساجد 54.

¹⁴⁶ الإمام الغزالي؛ الإحياء: 165/1.

¹⁴⁷ انظر ابن القيم، الوابل الصيب، ص. 24. وكذلك ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 553-557.

¹⁴⁸ الألويسي؛ روح المعاني، المؤمنون: 2.

وفى (البحر) نقلاً عن (التحرير) أنه اختلف فى الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين والصحيح الأول ومحل القلب، والصحيح عندنا خلافه ، نعم الحق أنه شرط القبول لا الاجزاء.¹⁴⁸

وقال الألوسي (ت:1250): ويسن الخشوع فى كل صلاته بقلبه بأن لا يحضر فيه غير ما هو فيه وإن تعلق بالآخرة وبجوارحه بأن لا يعيثر بأحداهما ، وظاهر أن هذا مراد النووي من الخشوع لأنه سيذكر الأول بقوله: ويسن دخول الصلاة بنشاط وفراغ قلب إلا أن يجعل ذلك سبباً له ولذا خصه بحالة الدخول.¹⁴⁹

5- الحياة الدينية تقوم على قوائم أساسية من أولها الخشوع.

قال الزمخشري (ت:535): فإن قلت: كيف كرر ذكر الصلاة أولاً وآخرأ؟ (السؤال فى الآيات العشر الأولى من سورة مؤمنين) قلت: هما ذكران مختلفان فليس بتكرير. وصفوا أولاً بالخشوع فى صلاتهم ، وآخرأ بالمحافظة عليها. وذلك أن لا يسهوا عنها ، ويؤدوها فى أوقاتها ، ويقوموا أركانها ، ويؤكفوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى أن تتم به أوصافها. وأيضاً فقد وحدت أولاً ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت ، وجمعت آخرأ لتفاد المحافظة على أعدادها: وهى الصلوات الخمس ، والوتر ، والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلوة الجمعة ، والعيدى ، والجنائز ، والاستسقاء ، والكسوف والخبسوف ، وصلوة الضحى ، والتهجد وصلوة التسبيح ، وصلوة الحاجة. وغيرها من النوافل.¹⁵⁰

من عاود تلاوة القرآن على الخشوع تكون له ملكة يحسن التعامل بها مع الناس ويحسن الأخذ بها عند سماع كلام الله العزيز فيثمر فى قلبه الخشوع الذى هو من أعظم منازل المؤمنين الصادقين {الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: 2]. إذا عاود الأستاذ تلاوة القرآن على الخشوع عاد بالنفع لا على الطالب فحسب بل وعلى المدرسة القرآنية كلها فألبسها ثوباً من الخشوع والهدوء وحسن التعامل، والشعور بالأبوة والبنوة بين المعلم وطلابه.¹⁵¹

اختلف العلماء أيهما أفضل؟ القراءة من المصحف أم القراءة عن ظهر الغيب؟

قال الإمام النووي (ت:676): قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب لأن النظر فى المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالي وجماعات من السلف ونقل الغزالي فى الإحياء أن كثيرين من الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف. وروى ابن أبى داود القراءة فى المصحف عن كثيرين من السلف ولم أر فيه خلافاً ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة فى المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره فى حالتى القراءة فى المصحف وعن ظهر القلب ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولاً حسناً والظاهر أن كلام السلف وفعالهم محمول على هذا التفصيل.¹⁵²

قال بعضهم: المدار فى هذه المسألة على الخشوع فإن كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر فى المصحف أكثر فهو أفضل فإن استويا فالقراءة نظراً أولى لأنها

¹⁴⁸ أبو حيان ؛ تفسير البحر المحيط : 248/8 ، المؤمنون 2 ؛ الألوسي ؛ روح المعاني : 4/18 .

¹⁴⁹ الألوسي ؛ روح المعاني : 4/18 .

¹⁵⁰ الزمخشري ؛ الكشاف : 175/3 .

¹⁵¹ "أضواء على مدارس وجماعات تحفيظ القرآن الكريم" ، ص. 77 . (مجلة الحرس الوطنى ، العدد : 79 ؛ عام 1409).

¹⁵² الإمام أبو زكريا بن شرف النووي، التبيين فى آداب حملة القرآن، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة ، مزينة ومنقحة، بيروت 1994/1414 ، ص. 100 .

أثبت¹⁵³ وهي تمتاز بالنظر إلى المصحف. و علي هذا التلاوة الصحيحة السليمة المجودة نظراً لكتاب الله مع الخشوع عند القراءة أفضل على الإطلاق.¹⁵⁴

خلاصة المقال

ومن النماذج الذين ركزوا حياتهم كلها على الخشوع الإمام أحمد بن حنبل. فقد روى المروزي قال رايت أبا عبد الله (يعنى: الإمام أحمد بن حنبل) إذا كان في البيت كان عامة جلوسه متربعا خاشعا فإذا كان يرى لم يكن يبين منه شدة خشوع كما كان داخلا.¹⁵⁵

فإذا كان العابد في الصلاة فخطبه إنسان فهل سيجيبه أم لا؟ فهو لن يجيبه أبداً؛ لأنه مشغول بحرمة الصلاة، فكذلك إذا كان في حرمة الصيام، فيجب أن يعلم أنه في حرمة عبادة عظيمة هي مثل الصلاة؛ فذلك لا بد أن يشتغل بصيامه فقط. ولهذا يقول الرسول (ص) "فإن أحد سابه أو شاتمته فليقل: إني صائم".¹⁵⁶ فليقل أي: في قلبه، أي: فليذكر ذلك وليقل: إني صائم؛ لأن هذا الصيام يحجبه ويمنعه عن إجابة ذلك الإنسان بمثل قوله.

وذلك في العبادات كلها، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أُنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون:60] وقد سألت أم المؤمنين عائشة (ر) رسول الله (ص) عن هذه الآية فقالت: "أهو الذي يسرق ويزني ويكذب وهو يخاف الله؟ قال: لا، بل هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف ألا يتقبل الله منه"¹⁵⁷ فهو لا يؤتون ما آتوا، فيقدمون الأعمال الصالحة لأنفسهم وهم يخافون خوفاً شديداً ألا يتقبل الله منهم. فالخشوع إذن مهم جداً يشعر بهذه لأهمية العقلاء من الناس، وأهل العلم، والفتنة، وأصحاب العقول الراجحة، والأذهان الصافية؛ ولا يبالي به الجهلاء فقط.

النتيجة

ونتيجة لهذا البحث نقول إن أمر الخشوع كبير جداً، وحرمان الخشوع مصيبة كبيرة وخيمة. لأن الخشوع في الصلاة هو روح الصلاة. كأن الصلاة جسد والخشوع روحها؛ فإذا توفر الجسد والروح بقيت حياة الصلاة، أما إذا وجد الجسد وخرجت الروح فلا قيمة للجسد. إذا شأن الصلاة مثل شأن الإنسان، فالإنسان له قيمة بمجموع أمرين: روحه التي بين جنبيه وجميع جوارحه، فإذا خرجت روحه لم يبق للجسد أى قيمة. فالمعول الأول والأخير على الروح وفي الصلاة على الخشوع فهو روح الصلاة، فمن كان خاشعاً في صلاته فهو يصلي في الحقيقة، أما الذي يصلي وقلبه مع عقله في المدرسة، أو المكتبة، أو المزرعة، أو عند الزوجة، أو في الدكان، أو التجارة، أو مشاكل الدنيا، فلا يصلي في الحقيقة.

وذكرنا أن المراد بالخشوع الإنابة والخضوع، ومتابعة الأمر والنهي. لهذا يقول تعالى شأنه: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَبْسُرُونَ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة 112]. إن أوصاف هؤلاء الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة، أنهم وفق ما قال القطان: يكثر التوبة إلى الله من هفواتهم، ويحمدونه على كل حال، ويسعون في سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم، ويحافظون على صلواتهم ويؤدونها كاملة في خشوع، ويأمرون بكل خير

¹⁵³ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، 1416، ص. 212.

¹⁵⁴ محمد زكي محمد خضر، هذا القرآن في مائة حديث نبوي، ص. 25.

¹⁵⁵ أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل)، الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، الطبعة الأولى، دار الهدى، القاهرة، 1978/1398، ص. 83.

¹⁵⁶ أخرجه البخاري، 36/الصوم/2/فضل الصوم؛ رقم الحديث: 1795، 670/2.

¹⁵⁷ ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379، 303/11.

يوافق ما جاء به الشرع ، وينهون عن كل شرٍ ياباهن ويلتزمون بشريعة الله. وبشّر الرسول المؤمنين المتصفين بهذه الصفات بخَيْرِ الدنيا والآخرة.

ولا يقتضى هذا أن الخشوع مختص بالصلاة، بل الخشوع في كل عبادة لله سبحانه وتعالى، سواء كانت قلبية أو بدنية أو مالية، وسواء كانت فعلية أو تركية؛ إذ لا بد فيها من هذا الخشوع؛ فهو روحها، وبه حياتها، وهو معناها، وإذا خلت العبادة من هذا الخشوع كانت روتيناً يفعلها الإنسان كما يفعل الطفل إذا رأى مصلياً، فإنه يقوم ويصلى ولا يفهم شيئاً من ذلك، وإنما يركع ويسجد ويقوم كما يفعل في تقاليده للأشخاص جميعاً، والإنسان لا يرضى أن يكون كالطفل الذى لا يفهم شيئاً من تصرفاته، فلذلك لا بد أن يفهم معنى القيام، ومعنى الاستقبال، ومعنى رفع اليدين، وأن يجعل الدنيا وراء ظهره، ويفهم معنى التكبير إذا كبر، ويعلم أنه إذا كبر ملأت تكبيرته ما بين السماء والأرض، ويفهم معنى الفاتحة التى يقرؤها، ومعنى القرآن الذى يقرأ بعدها، ومعنى تكبيره للركوع، ومعنى تسبيحه وتعظيمه فيه، وهكذا فى كل أجزاء صلاته.

وهكذا فى عبادتنا الأخرى، فالصائم لا بد أن يخشع أيضاً، ونحن ننتظر قبل رمضان قدوم هذا الشهر الكريم الذى هو شهر الصيام، فكثير من الناس يؤدى الصيام فيه من غير خشوع، فتجدهم فى نهار الصيام وهم يعملون أعمالهم كما كانوا لا يحسون برغبة ولا رهبة، ولا يؤثر فيهم صومهم شيئاً، وتراهم كذلك فى ليالى رمضان الفاضلة العظيمة التى يزداد فيها عمر الإنسان بما لا يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى كما إذا وفق لقيام ليلة القدر، فإنه يزداد على الأقل بأربع وثمانين سنة فى ليلة واحدة، ففائدة العمر للعبادة، وهذه الليلة خير من ألف شهر و(خير) أفعل تفضيل؛ ولا يقتضى ذلك حصرها فى ألف شهر فإذا: أقل الناس من كانت ليلة القدر فى حقه بقدر ألف شهر، وألف شهر أربع وثمانون سنة وزيادة ستة أشهر تقريباً، فهذه المدة التى نحتاج إليها بزيادة أعمارنا، لا يستفيد منها أولئك الذين يشغلون ليالى رمضان بما لا خير فيه، وقد صح عن النبى (ص) أنه قال: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن أحد سابه أو شاتمته فليقل: إني صائم"، وفى رواية: "إني امرؤ صائم"، فلا بد أن يستشعر الإنسان أنه فى حرمة الصيام.

ولقد أصبح المؤدبون والتربويون يفضلون أن يكون التحضير والتعلم والتعليم والتدريس أفقياً وليس عمودياً لأنه أكثر ترابطاً وأوضح لتحقيق الأهداف. فالحكمة والغاية والهدف أساس مهم لكل عمل ولكل عبادة أيضاً. لهذا يجب أن يكون العابد مرتبطاً بالعبادة والعمل الصالح أفقياً وعمودياً كذلك بكتاب الله العزيز علماً وعملاً وتدبراً وشعوراً ليستفيد من عمله واسعا عميقاً.

وهذا إمام المسلمين وقائد قافلة الإيمان إبراهيم عليه السلام الذى وحد إيمانه وعمله وحياته كلها فى الإستقامة والتسليم لله وحده يقول ويدعو من بعده إلى خط مستقيم وهو الخشوع والإخلاص فى الإيمان والعبادة والحياة: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ** لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162-163]. وهذه الآية تشير أن الخشوع أساس فى العبادات والحياة كلها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي شَيْبَةَ (ت:235) ؛ (أبو بكر عبد الله بن محمد العباسي الكوفي)، المُصَنَّف، التحقيق : محمد عوامة، دار القبلة.
- ابن الأثير (ت:606) ؛ (مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد)؛ *النهاية في غريب الحديث والأثر*، التحقيق الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد ، المكتبة العلمية ، بيروت، 1382هـ.
- ابن تيمية (ت:728) ؛ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني) ؛ *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*، التحقيق: عبد الرحمن اليحيى، ط. الأولى ، دار طويق للنشر ، الرياض 1414هـ.
- ابن تيمية (ت:728) ؛ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني) ؛ *القواعد النورانية الفقهية*، التحقيق : محمد حامد الفقي، ط. الأولى، مكتبة السنة المحمدية، مصر، القاهرة 1951/1370.
- ابن تيمية (ت:728) ؛ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني) ؛ *مجموع الفتاوى*، التحقيق : أنور الباز / عامر الجزار، ط. الثالثة، دار الوفاء ، 2005/1426.
- ابن الجَوْزِي (ت:597) ؛ (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) ؛ *زاد المسير في علم التفسير*، ط. الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت 1404.
- ابن دُرَيْد (ت:321)؛ (لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي)، *جمهرة اللغة*، ط. الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد 1345 هـ.
- ابن السَّعْدِي (ت:1376) ؛ (عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي)؛ *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، التحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط. الأولى: مؤسسة الرسالة، 2000/1420
- ابن العَرَبِي (ت: 453) ؛ (أبو بكر محمد بن عبدالله) ؛ *حكام القرآن*، التحقيق: محمد علي الجاوي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- ابن تَيْمِيَّة (ت:728) ؛ (أحمد الحراني) *مجموع الفتاوى* ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، إشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب ، مكتبة المعارف، الرباط ، بدون تاريخ.
- ابن حَجَر الحافظ (ت:852) ؛ (أحمد بن علي العسقلاني) ؛ *فتح الباري بشرح صحيح البخاري* ، راجعه: قصى محب الدين الخطيب، ط. الأولى ، دار الريان ، القاهرة 1407.
- ابن عَاشُور (ت:1393)؛ (محمد بن الطاهر)؛ محمد الطاهر ابن عاشور ؛ *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، 1997.
- (*التحرير والتنوير*).
- ابن عَاشُور (ت:1393)؛ (محمد بن الطاهر)؛ *مقاصد الشريعة الإسلامية* ، التحقيق والدراسة: محمد الطاهر الميساوي، ط. الثانية، دار النفائس الأردن 1421.
- ابن فَارِس (ت:395) ؛ (أبو الحسين أحمد)؛ *معجم المقاييس في اللغة*، ط. الثانية، دار الفكر، بيروت، 1418هـ/1998م.
- ابن قَتَيْبَةَ (ت:276) ؛ (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)؛ *تفسير غريب القرآن*، التحقيق: السيد أحمد صقر دار الكتب العلمية، بيروت 1978/1398.
- ابن قَيِّم الجوزية (ت:751) ؛ (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) ؛ *مدارج السالكين*، التحقيق: محمد حامد الفقي ، ط. الثانية ، دار المعرفة ، بيروت 1359

- ابن قَيِّم الجوزية ؛ (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، التحقيق: محمد حامد الفقى، ط. الثانية ، دار الكتاب العربي، بيروت 1973/1393.
- ابن قَيِّم الجوزية؛ (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)؛ بدائع الفوائد، التحقيق: هشام عبد العزيز عطا / عادل عبد الحميد العدوى/ أشرف أحمد الخ. ط. الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة 1996/1416.
- ابن قَيِّم الجوزية؛ (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)؛ الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان ، ط. الثانية، دمشق 1399.
- ابن كثير(ت:774)؛ (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)؛ تفسير القرآن العظيم، التحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط. الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999/1420.
- ابن مَنظور(ت:711)؛ (جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي)؛ لسان العرب ، التحقيق: عبد الله على الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي، دار الفكر، بيروت.
- أبو السُّعود (ت:951)؛ (محمد بن محمد العمادي)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.
- أبو الفَرَج (ت:354)؛ (علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني ؛ الأغاني، التحقيق: إبراهيم الأبياري، 1969/1389، طبعة دار الشعب.
- أبو بكر الجزائري؛ (1921-؟)؛ (جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر)؛ أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير، ط. الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2003/1424.
- أبو حَيَّان ؛ (ت:745) الأندلسي ؛ (محمد بن يوسف ، الشهير بالنجوي) ؛ البحر المحيط ، ط. الثانية ، دار الفكر، بيروت، 1398.
- أبو شامة (ت:) ؛ (عبد الرحمن بن إسماعيل)؛ الباعث على إنكار البدع والحوادث، التحقيق: عثمان أحمد عنبر، ط. الأولى ، دار الهدى، القاهرة، 1978/1398.
- أبو طالب المكي (ت:386)؛ (محمد بن علي بن عطية)؛ قوت القلوب في معاملة المحبوب وَوَصَفَ طَرِيقَ الْمُرِيدِ إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ، المطبعة الميمنية، مصر 1310.
- الألباني ؛ (محمد ناصر الدين) ؛ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ط. الثانية ، المكتب الإسلامي ، بيروت، 1985/1405.
- الإمام أبو داود (ت:275)؛ (سليمان بن الأشعث السجستاني) ؛ السنن ، التحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
- الإمام أحمد بن حنبل (ت:241)؛/المسند ، التحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، بيروت، 1999/1420.
- الإمام البخاري (ت:256)؛ (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) ؛ الجامع الصحيح ، التحقيق: مصطفى ديب البغا، ط. الأولى، دار القلم ، دمشق وأيضاً بيروت 1401.
- الإمام البَغوي (ت:468) ؛ (محيى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود) ؛ معالم التنزيل، التحقيق وتخريج أحاديثه: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط. الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997 /1417.
- الإمام الترمذي (ت:279)؛ (محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي)الجامع الصحيح سنن الترمذي، التحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الإمام الحاكم (ت:406) ؛ (أبو عبد محمد بن عبد الله)؛ المستدرک على الصحيحين، التحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990/1411.

- الإمام الطَّبْرِي (ت:310) ؛ (أبو جعفر محمد بن جرير) ؛ جامع البيان في تأويل القرآن، التحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، 2000/ 1420.
- الإمام العزّ بن عبد السلام (ت:660)؛ (عمر بن صالح) ؛ مقاصد الشريعة، ط. الأولى، دار الفانيس ، الأردن 1423.
- الإمام مالك بن أنس (ت:179)؛ الموطأ، التحقيق : محمد مصطفى الأعظمي، ط. الأولى، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، موقع الإسلام، 2004/1425.
- الإمام مسلم (ت:261) ؛ (بن الحجاج النيسابوري) ، الجامع الصحيح ، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت 1374.
- النَّبَهَيْي (ت:458) أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان ، المحقق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410.
- النّهائوي (ت:1358)؛ (محمد علي الفاروقي) ؛ كشاف إصطلاحات الفنون، التحقيق: لطفي عبد البديع، مصر 1976.
- حسين نصار؛ معجم آيات القرآن فهرس تفصيلي مرتب على حروف الهجاء ، ط. الثانية، القاهرة 1965/1385.
- الحميدى (ت:488) ؛ (محمد بن فتوح) ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب ، ط. الثانية، دار ابن حزم ، بيروت 2002/1423.
- الخازن (ت:741)؛ (أبو الحسن علي بن محمد الشيعي)؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1415هـ.
- الخَطِيب النَّبْرِي (ت:737)؛ (محمد بن عبد الله) ؛ مشكاة المصابيح، تعليق محمد ناصر الدين الألباني وآخرين ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط. الثانية 1399هـ.
- الذّهبي (ت:1374/748)؛ (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط. التاسعة، بيروت، 1993/413.
- الرّاعِب (ت:425)؛ (الحسين بن المفضل الأصفهاني) ؛ النريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد العجمي ، ط. الثانية، دار الوفاء، المنصورة بدون تاريخ.
- الرّاعِب (ت:425) ؛ (الحسين بن المفضل الأصفهاني)؛ مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، دار القلم، دمشق، 1992/1412.
- الرّبيدي (ت:1205)؛ (محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط. الأولى، المطبعة الخيرية ، مصر 1306.
- الرّزْكَلي (ت:1976/1396)؛ خير الدين؛ الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.
- زكى مبارك ؛ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، دار الجبل، بيروت بدون تاريخ.
- الرّمخُسري (ت:538) ؛ (جار الله محمود بن عمر) ؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل غى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي ، بيروت، بدون تاريخ.
- السّمْرَقندي (ت:373)؛ أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم ، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- السّهْرَوْردي (ت:563) ؛ (عبد القاهر بن عبد الله)؛ عوارف المعارف، ط. الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت 1984/1403.
- سيّد قُطْب (ت:1966/1387)؛ في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت 1402.

- السُّبُوطِي (ت:911)؛ (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن) ؛ *الدر المنثور* التفسير بالماثور، دار الفكر ، بيروت ، 1414.
- السُّبُوطِي (ت:911)؛ (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن) ؛ *لباب النزول*، الضبط والتصحيح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- الشَّاطِئِي (ت:672) ؛ (إبراهيم بن موسى الغرناطي) ؛ *الموافقات* ، التحقيق عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت.
- الشَّوَدُ ؛ (علي بن نايف) ؛ *موسوعة البحوث والمقالات العلمية: الخشوع*.
- الشُّوكَّانِي (ت:1255) ؛ (محمد بن علي اليمني) ؛ *فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير*، دار الفكر، بيروت 1401.
- الشُّوكَّانِي ؛ *نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار*، دار الجيل، بيروت، 1973.
- الطَّبَّاطْبَائِي (ت: 1401)؛ (محمد حسين) ، *الميزان في تفسير القرآن*، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1342.
- طَنْطَاوِي جوهري (ت:1358/1940) ؛ *الجواهر فى تفسير القرآن الكريم*، ط. الثانية، القاهرة، 1350.
- عبد المجيد (الشيخ عبد الباري)؛ *الروايات التفسيرية فى فتح الباري*، ط. الأولى، وقف السلام الخيري، 2006/1426.
- العراقي الحافظ (ت:862) (أبو زرعَة زين الدين)؛ *طرح التثريب فى شرح التثريب*؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1992/1413.
- العَسْكَرِي (ت:1005/395)؛ (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل) ، *الفروق اللغوية* ، الضبط: حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1401.
- عويضة ؛ (محمود عبداللطيف) ؛ *الجامع لأحكام الصلاة*، ط. الرابعة ، دار الوضاح، عمان، 2004.
- العَزَّالِي (ت:505) ؛ (أبو حامد) ؛ *إحياء علوم الدين*، ط. الأولى ، دار القلم ، بيروت، بدون تاريخ.
- فَخْر الدين الرازي (ت:606) ؛ (أبو عبد الله محمد بن عمر) ؛ *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)* ، ط. الثانية ، دار الفكر ، بيروت، 1405.
- الفَيْرُوزْآبَادِي (ت:817) ؛ (أبو طاهر محمد بن يعقوب) ؛ *بصائر نوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز*، التحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت بدون تاريخ.
- القاسمي (ت:1332) ؛ (محمد جمال الدين) ؛ *محاسن التأويل (تفسير القاسمي)* ، التصحيح والتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت 1376.
- الْقُرْطُوبِي (ت:671) ؛ (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) ؛ *الجامع لأحكام القرآن*، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي. بيروت، 1985/1405
- القُسَيْرِي (ت:465) ؛ (أبو القاسم عبد الكريم) ؛ *الرسالة القشيرية*، التحقيق: عبد الحلیم محمود ومحمود الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1974.
- المَاوَرْدِي (ت:450)؛ (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري) ؛ *النكت والعيون*، التحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998.

المُنْتَقَى الهُنْدِي (ت: 975)؛ (علاء الدين علي بن حسام الدين البرهان فوري)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، التحقيق: بكرى حيانى- صفوة السقا، ط. الخامسة، مؤسسة الرسالة، موقع مكتبة المدينة الرقمية، 1981/1401.

المَرْوُزِي (ت: 294) ؛ (محمد بن نصر)؛ تعظيم قدر الصلاة، التحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، الطبعة الأولى، مكتبة الدار، المدينة المنورة 1406.

المُبَارَكُفُورِي؛ (محمد عبد الرحمن)؛ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ.

مكي القيس؛ العمدة في غريب القرآن ، تحقيق يوسف المَرْعَشَلِي ، ط. الأولى ، مؤسسة الرسالة ، 1981 /1401 .

المُنَاوِي (ت: 1031) ؛ (محمد عبد الرؤوف) ؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث النبىء النبىء، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1994/1415.

النُّوَوِي (ت: 676) ؛ (الإمام أبو زكريا بن شرف) ، التبيين في آداب حملة القرآن، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم، بدون تاريخ.

النَّبَسَائُورِي (ت: 1016/406) ؛ (أبو القاسم نجم الدين الحسن بن محمد)؛ إيجاز البيان عن معانى القرآن، التحقيق: على بن سليمان العبيد ، مكتبة التوبة ، الرياض، 1997/1418.

